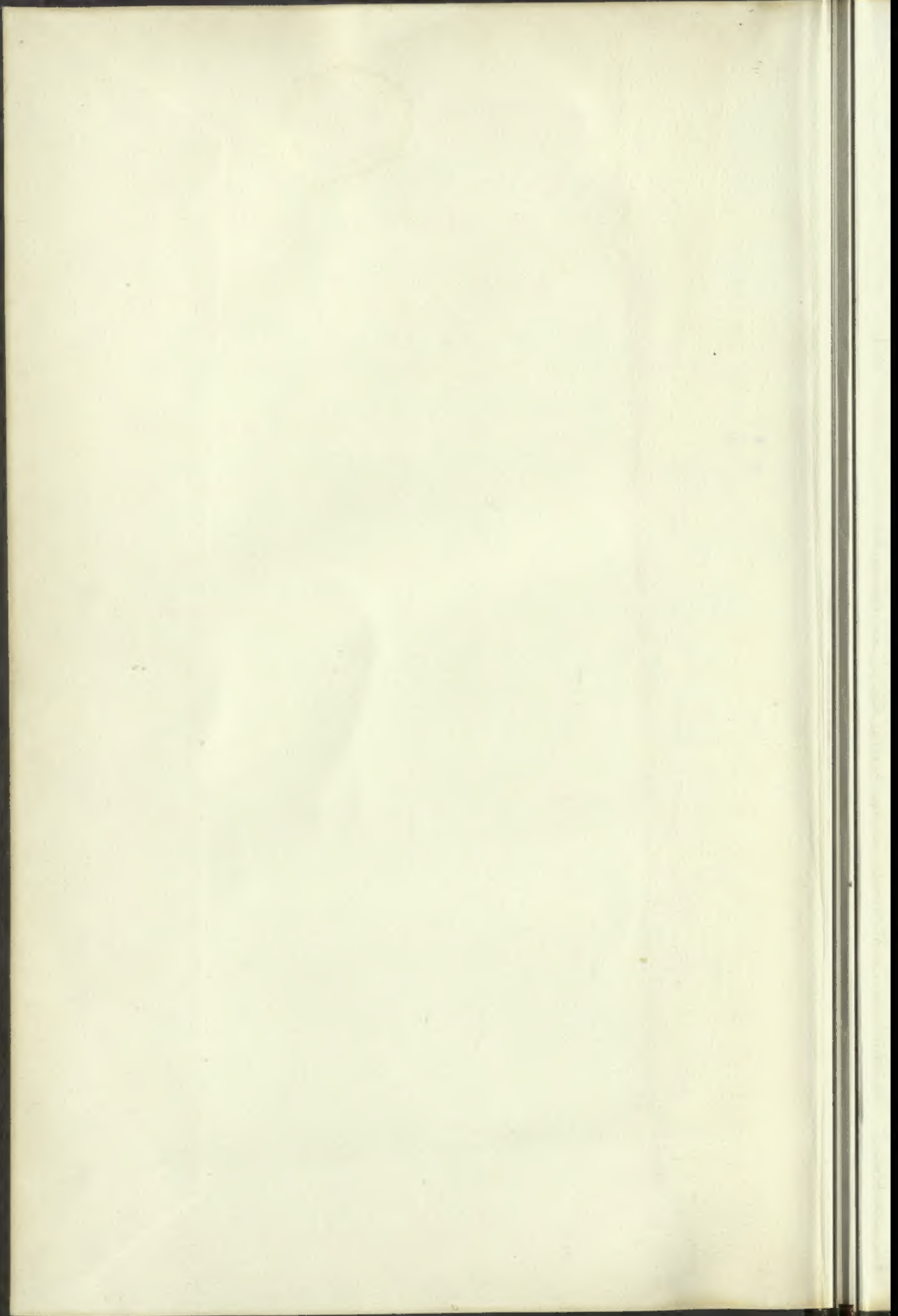


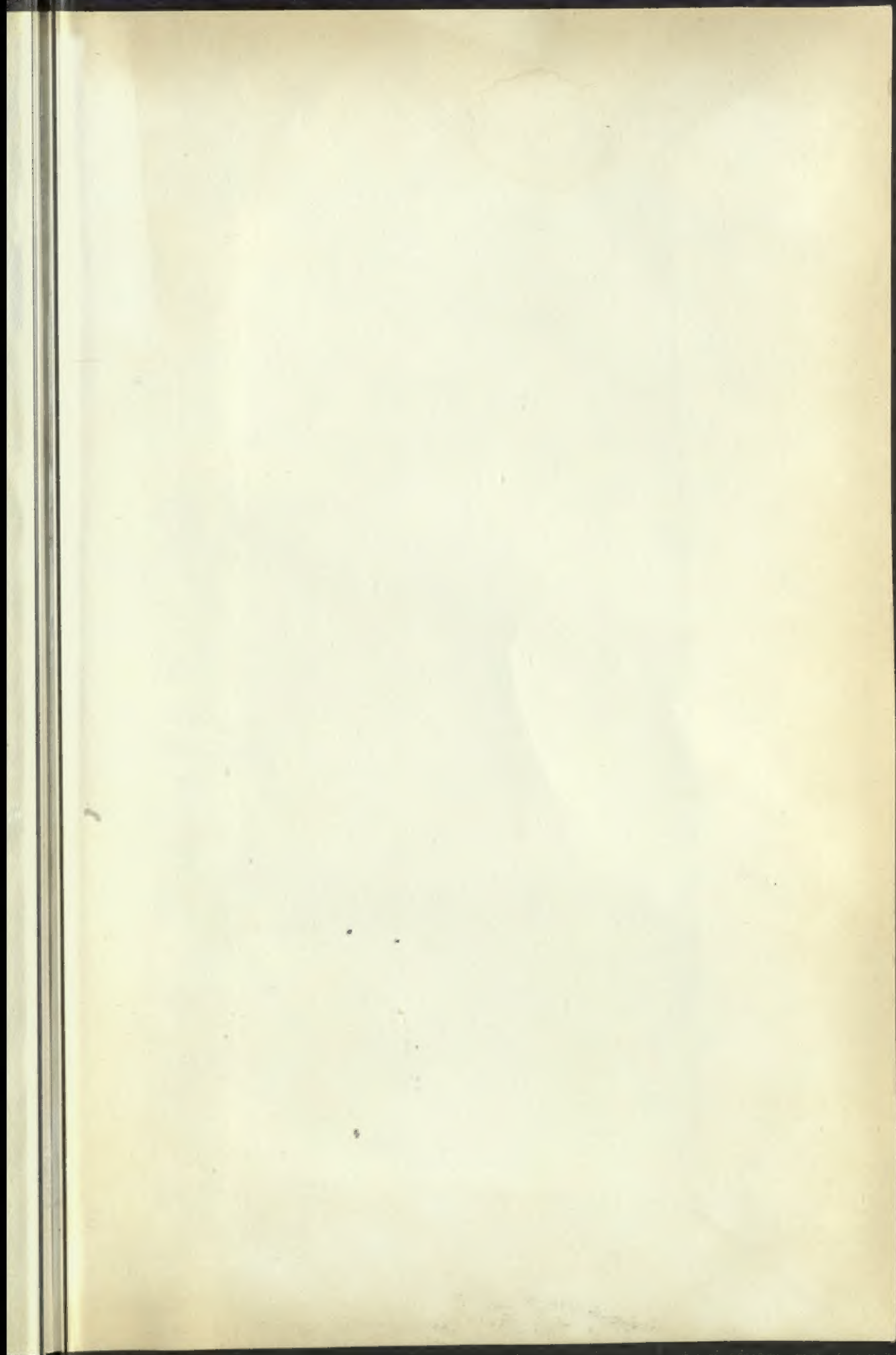
الجزء الأول

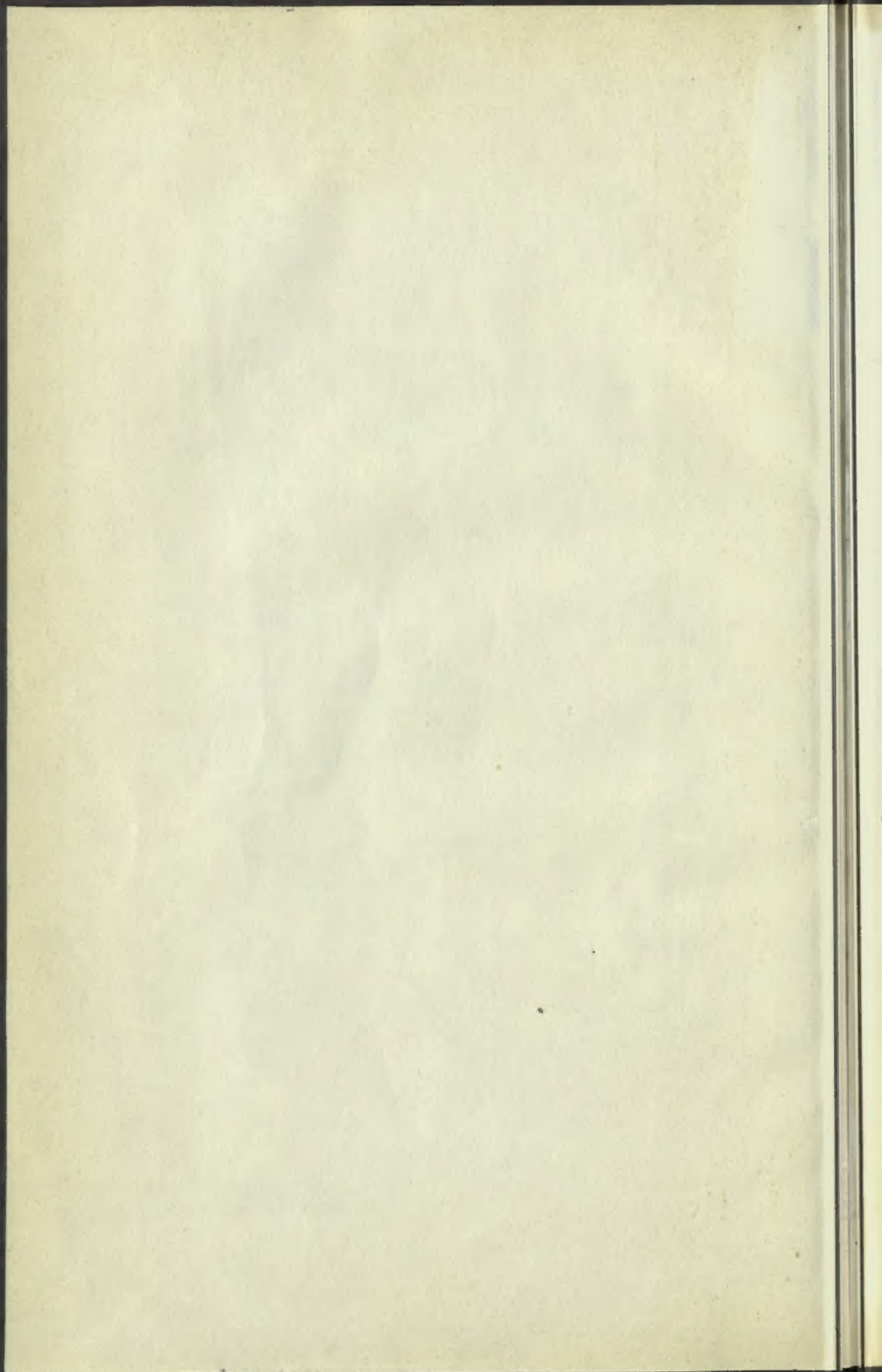
مكتبة جامعة القاهرة - قسم المخطوطات

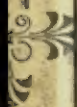
297 . A1 : 10345

A.U.B. LIBRARY









رسالة في مداواة النفوس . وتهذيب الاخلاق
والزهد في الرذائل تأليف الامام النحرير
الوزير الحافظ الحجة امام النقاد
أبي محمد علي بن احمد بن



تمت في وعافته ١١٩٩ هـ

أمين ١٩٦٤

ووجد بطرة الاصل بعد ما تقدم ما نصه :
مما عني بجمعه يرسم مطالعة العبد الفقير الى رحمة
ربه الكريم المقر العالي الناصري محمد ولد المقر
المرحوم (بلغه الله نهاية الآمال وختم له بصالح
الاعمال بمحمد وآله)

(طبع على نفقة الفاضل)

(الشيخ مصطفى القباني الدمشقي سنة ١٣٢٣ هجرية)

مطبعة النيل بشارع محمد علي بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر يا كريم

قال ابو محمد بن علي بن احمد بن سعيد بن حزم الفقيه
الاندلسي رحمه الله . الحمد لله على عظيم مننه . وصلى الله على
محمد عبده وخاتم انبيائه ورسله . وأبرأ اليه تعالى من الحول
والقوة . وأستعينه على كل ما يعصم في الدنيا من جميع المخاوف
والمكاره . ويخلص في الاخرى من كل هول ومضيق (أما
بمد) فاني جمعت في كتابي هذا معاني كثيرة أفادنيها واهب
التميز تعالى بمرور الايام وتعاقب الاحوال بما منحني عز وجل
من التهمم بتصاريف الزمان والاشراف على أحواله حتى
انفقت في ذلك اكثر عمري وآثرت تقييد ذلك بالمطالعة له
والفكرة فيه على جميع اللذات التي تميل اليها اكثر النفوس
وعلي الازدياد من فضول المال وزممت كل ما سبوت من ذلك
بهذا الكتاب لينفع الله تعالى به من يشاء من عباده ممن يصل

اليه ما اتعبت فيه نفسي واجهدتها فيه واطالت فيه فكري
 فيأخذه عفواً وأهديته اليه هنيئاً فيكون ذلك أفضل له من
 كنوز المال وعقد الاملاك اذا تدبره ويسره الله تعالى
 لاستعماله وأنا راج في ذلك من الله تعالى أعظم الاجر لنيتي
 في نفع عباده واصلاح ما فسد من أخلاقهم ومداواة علل
 نفوسهم وبالله تعالى أستعين

✽ فصل في مداواة النفوس واصلاح الاخلاق الذميمة ✽
لذة العاقل تميزه . ولذة العالم بعلمه . ولذة الحكيم بحكمته
ولذة المجتهد لله عز وجل باجتهاده اعظم من لذة الآكل
بأكله والشارب بشربه والواطي بوطئه والكاسب بكسبه
واللاعب بلعبه والامر بأمره . وبرهان ذلك أن الحكيم
والعاقل والعالم والعامل واجدون لسائر اللذات التي سميناهم
بجدها المنهمك فيها . ويحسونها كما يحسها المقبل عليها . وانما
يحكم في الشئئين من عرفهما لا من عرف احدهما ولم يعرف
الآخر . اذا تعقبت الامور كلها فسدت عليك وانتهت في أخذ
فكرتك باضمحلال جميع احوال الدنيا الى ان الحقيقة انما هي
العمل للأخرة فقط لان كل امل ظهرت به تعقباه حزن . اما

بذهابه عنك واما بذهابك عنه ولا بد من احد هذين السبيلين
 الا العمل لله عز وجل فعقباه على كل حال سرور في عاجل
 وآجل . أما العاجل فقلة الهم بما يهتم به الناس وملك معظم
 من الصديق والعدو . وأما في الآجل فالجنة . تطالبت غرضاً
 يستوي الناس كلهم في استحسانه وفي طلبه فلم اجده الا واحداً
 وهو طرد الهم فلما تدبرته علمت ان الناس كلهم لم يستووا في
 استحسانه فقط ولا في طلبه فقط . ولكن رأيهم على اختلاف
 اهوائهم ومطالبهم ومراداتهم لا يتحركون حركة اصلاً الا
 فيما يرجون به طرد الهم ولا ينطقون بكلمة اصلاً الا فيما
 يعانون به ازاحته عن انفسهم . فمن مخطئ وجه سبيله . ومن
 مقارب للخطاء . ومن مصيب وهو الاقل . فطرد الهم
 مذهب قد اتفقت الامم كلها منذ خلق تعالى الله العالم الى ان
 يتناهى عالم الابتداء ويعاقبه عالم الحساب على ان لا يعتمدوا
 بسميهم شيئاً سواه . وكل غرض غيره ففي الناس من لا يستحسنه
 اذ في الناس من لا دين له فلا يعمل للآخرة . وفي الناس من
 اهل الشر من لا يريد الخير ولا الا من ولا الحق . ومن الناس
 من يؤثر الجول بهواه وارادته على بعد الصيت . اوفي الناس

من لا يريد المال ويؤثر عدمه على وجوده كثير من الانبياء
عليهم السلام ومن تلامهم من الزهاد والفلاسفة . وفي الناس
من يبغض اللذات بطبعه ويستنقص طالبها كمن ذكرنا من
المؤثرين فقد المال على اقتنائه . وفي الناس من يؤثر الجهل على
العلم كما كثر من نرى من العامة . وهذه هي اغراض الناس
التي لا غرض لهم سواها . وليس في العالم مذ كان الى ان
يتناهى احد يستحسن الهم ولا يريد الا طرحه عن نفسه .
فلما استقر في نفسي هذا العلم الرفيع وانكشف لي هذا السر
العجيب . وانا لله تعالى لذكرى هذا الكنز العظيم . بحثت
عن سبيل موصلة على الحقيقة الى طرد الهم الذي هو المطلوب
النفيس الذي اتفق جميع انواع الانسان الجاهل منهم والعالم
والصالح والطالح على السعي له فلم اجدها الا التوجه الى الله
عز وجل بالعمل للآخرة . والا فانما طلب المال طلابه ليطردوا
به هم الفقر عن انفسهم . وانما طلب الصوت (١) من طلبه ليطرد
به عن نفسه هم الاستملاء عليها . وانما طلب اللذات من طلبها
ليطرد بها عن نفسه هم قوتها . وانما طلب العلم من طلبه ليطرد

(١) الصوت كالصيت والصات والصيته الذكر الحسن

به عن نفسه هم الجهل . وانما هـش الى سماع الاخبار ومحادثة الناس
 من يطلب ذلك ليطرد بها عن نفسه هم التوحد ومغيب احوال
 العالم عنه . وانما اكل من اكل وشرب من شرب ونكح من
 نكح ولبس من لبس ولعب من لعب وكنز من كنز وركب
 من ركب ومشى من مشى وتودع من تودع ليطردوا عن
 انفسهم اضداد هذه الافعال وسائر الهموم . وكل ما ذكرنا
 لمن تدبره هموم حادثة لا بد لها من عوارض تعرض في خلالها
 وتعذر ما يتعذر منها وذهاب ما يوجد منها والعجز عنه لبعض
 الآفات الكائنة وايضاً سوشح (١) بالحصول على ما حصل عليه
 من ذلك من خوف منافس او طعن حاسد او اختلاس راغب
 او اقتناء عدو مع الذم والاثم وغير ذلك . ووجدت العامل
 للآخرة سالماً من كل عيب خالصاً من كل كدر . موصل الى
 طرد الهم على الحقيقة . ووجدت العامل للآخرة ان امتحن
 بمكروه في تلك السبيل لم يهتم بل يسر اذ رجاؤه في عاقبة
 ما ينال به عون على ما يطلب وزايد في الغرض الذي يقصد .
 ووجدته ان عاقبه عما هو بسببها عائق . لم يهتم اذ ليس مؤاخذاً
 (١) هكذا في الاصل المنقول عنه ولم يظهر توجيه لصحة العبارة

بذلك فهو غير مؤثر في ما يطالب . ورأيته ان قصد بالاذى
 سر وان نكبته نكبة سر . وان تعب فيما سلك فيه سر . فهو
 في سرور متصل ابدا وغيره بخلاف ذلك ابدا . فاعلم انه
 مطلوب واحد وهو طرد الهم وليس اليه الا طريق واحد
 وهو العمل لله تعالى فما عدا هذا فضلال وسخف . لا تبذل
 نفسك الا فيما هو اعلى منها . وليس ذلك الا في ذات الله
 عز وجل . في دعاء الى حق . وفي حماية الحريم . وفي دفع
 هوان لم يوجبه عليك خالقك تعالى . وفي نصر مظلوم . وبإذل
 نفسه في غرض دنيا كبائع اليافوت بالحصا . لامروءة لمن
 لا دين له . العاقل لا يرى لنفسه ثمنا الا الجنة . لا بليس في ذم
 الرياء حباله . وذلك انه رب ممتنع من فعل خير خوف ان
 يظن به الرياء

﴿ باب عظيم من أبواب العقل والراحة ﴾

وهو طرح المبالاة بكلام الناس واستعمال المبالاة بكلام
 الخالق عز وجل بل هو العقل كله والراحة كلها . من قدر
 أنه يسلم من طعن الناس وعيبتهم فهو مجنون . من حقق النظر
 وراض نفسه على السكون الى الحقائق . وان ألبها في أول

صدمة كان اغتباطه بدم الناس اياه أشد وأكثر من اغتباطه
 بمدحهم اياه . لان مدحهم اياه ان كان بحق وبلغه مدحهم له
 أسرى ذلك فيه المعجب فأفسد بذلك فضائله . وان كان باطل
 فبلغه فسر فقد صار مسروراً بالكذب . وهذا نقص شديد .
 واما ذم الناس اياه فان بحق فبلغه فربما كان ذلك سبباً الى تجنبه
 ما يعاب عليه وهذا حظ عظيم لا يزهد فيه الا ناقص . وان
 كان باطل فصبر اكتسب فضلاً زائداً بالحلم والصبر وكان
 مع ذلك غانماً لانه يأخذ حسنات من ذمه بالباطل فيحظى
 بها في دار الجزاء أخرج ما يكون الى النجاة باعمال لم يتعب
 فيها ولا تكلفها . وهذا حظ رفيع لا يزهد فيه الا مجنون .
 واما ان لم يبلغه مدح الناس اياه فكلامهم وسكوتهم سواء .
 وليس كذلك ذمهم اياه لانه غانم للاجر على كل حال بلغه ذمهم
 أو لم يبلغه . ولولا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الثناء
 الحسن : ذلك عاجل بشرى المؤمن لوجب ان يرغب العاقل
 في الذم بالباطل أكثر من رغبته في المدح بالحق ولكن اذ جاء
 هذا القول فانما تكون البشرى بالحق لا بالباطل فانما تجب
 البشرى بما في المدح لا بنفس المدح . ليس بين الفضائل

والرذائل والطاعات والمعاصي الا نفار النفس وأنسها فقط .
 فالسعيد من أنست نفسه بالفضائل والطاعات ونفرت من
 الرذائل والمعاصي . والشقي من أنست نفسه بالرذائل والمعاصي
 ونفرت من الفضائل والطاعات . وليس ها هنا الا صنع الله
 تعالى وحفظه . طالب الآخرة متشبه بالملائكة . وطالب الشر
 متشبه بالشياطين . وطالب الصوت والغلبة متشبه بالسباع
 وطالب اللذات متشبه بالبهائم . وطالب المال لعين المال لا
 لنفقه في الواجبات والنوافل المحمودة أسقط وأذل من ان
 يكون له في شيء من الحيوان شبه . ولكنه يشبه العذرات
 في الكهوف في المواضع الوعر لا يلتفت بها شيء من الحيوان .
 العاقل لا يغتبط بصفة يفوقه فيها سبع أوبهيمة أو جماد .
 وإنما يغتبط بتقدمه في الفضيلة التي أبانه الله بها عن السباع
 والبهائم والجمادات وهي التميز الذي يشارك فيه الملائكة .
 فمن سر بشجاعته التي يضعها في غير موضعها لله تعالى . فليعلم
 ان النمر أجراً منه . وان الاسد والذئب والفيل أشجع منه . ومن
 سر بقوة جسمه فليعلم ان البغل والثور والفيل أقوى منه
 جسماً . ومن سر بحمله الاثقال فليعلم ان الحمـار أحمـل منه .

ومن سر بسرعة عدوه . فليعلم ان الكلب والارنب أسرع
عدواً منه ومن سر بحسن صوته فليعلم ان كثيراً من الطير
أحسن صوتاً منه . وان أصوات المزامير ألد وأطرب من
صوته . فأني نخر وأني سرور في ما تكون فيه هذه البهائم
متقدمة عليه . لكن من قوي تمييزه واتسع علمه وحسن
عمله فليغتبط بذلك . فانه لا يتقدمه في هذه الوجوه الا الملائكة
وخيار الناس . قول الله تعالى (وأما من خاف مقام ربه
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوي) جامع لكل
فضيلة لان نهى النفس عن الهوى هو رذعها عن الطبع الغضبي
وعن الطبع الشهواني لان كليهما واقع تحت موجب الهوى .
فلم يبق الا استعمال النفس للنطق الموضوع فيها الذي به بات
عن البهائم والحشرات والسباع (قول) رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي استوصاه لا تغضب وأمره عليه السلام ان
يحب المرء لغيره ما يحب لنفسه . جامعان لكل فضيلة . لان
في نهيه عن الغضب ردع النفس ذات القوة الغضبية عن هواها
وفي أمره عليه السلام ان يحب المرء لغيره ما يحب لنفسه
ردع النفس عن القوة الشهوانية وجمع لازمه المدل الذي هو

فائدة النطق الموضوع في النفس الجامدة

﴿ فصل في العلم ﴾

لولم يكن من فضل العلم الا ان الجهال يهابونك ويحبونك
وان العلماء يحبونك ويكرمونك . لكان ذلك سبباً الى وجوب
طلبه . فكيف بسائر فضائله في الدنيا والآخرة . ولولم يكن
من نقص الجهل الا ان صاحبه يحسد العلماء ويغبطه نظراؤه من
الجهال . لكان ذلك سبباً الى وجوب التمرار عنه . فكيف بسائر
رذائله في الدنيا والآخرة . لولم يكن من فائدة العلم والاشتغال
به الا انه يقطع المشتغل به عن الوسوس المضنية ومطارح
الآمال التي لا تفيد غير الهم وكفاية الافكار المؤلمة للنفس
لكان ذلك أعظم داع اليه . فكيف وله من الفضائل ما يطول
ذكره ومن أقلها ما ذكرنا مما عليه طالب العلم وفي مثله أتعب
ضعفاء الملوك أنفسهم فتشاغلوا عما ذكرنا بالشطرنج والنرد
والخمر والالغاني وركض الدواب في طلب الصيد وسائر
الفضول التي تعود بالمضرة في الدنيا والآخرة . لوتدبر العالم
في مرور ساعاته ماذا كفاه العلم من الذل بتسلط الجهال ومن
الهم بمنغيب الحقائق عنه ومن الغبطة بما قد بان له وجهه من

الامور الخفية عن غيره لئلا يزداد حمدا لله عز وجل وغبطة بما لديه
 من العلم ورغبة في المزيد منه . من شغل نفسه بادنى العلوم
 وترك اعلاها وهو قادر عليه كان كزارع الذرة في الارض
 التي يجود فيها البر وكفارس الشعراء (١) حيث يزكو النخل والزيتون
 نشر العلم عند من ليس من اهله مفسد لهم كاطعامك المسك
 والحلواء من به احتراق وحمى وكتشميمك المسك لمن به صداع
 من احتدام الصفراء . الباخل بالعلم اليوم من الباخل بالمال لان
 الباخل بالمال اشفق من فناء ما بيده والباخل بالعلم بخل بما
 لا يفنى على النفقة ولا يفارقه مع البذل . من مال بطبعه الى علم ما وان
 كان ادنى من غيره فلا يشغلها بسواه . فيكون كفارس النارجيل
 بالاندلس وكفارس الزيتون بالهند وكل ذلك لا ينبغي . اجل
 العلوم ما قربك من خالقك تعالى وما اعانك على الوصول الى
 رضاه . انظر في المال والصحة الى من دونك . وانظر في الدين
 والعلم والفضائل الى من فوقك . العلوم الغامضة كالدواء القوي
 يصلح الاجساد القوية ويهلك الاجساد الضعيفة . وكذلك

(١) الشعراء بوزن حمراء شجرة من الحمض ليس لها ورق ولها
 هدب تحرص عليها الابل حرصا شديدا تخرج عيذاناً شداداً اه لسان

العلوم الغامضة تزيد العقل القوي جودة وتصفيه من كل آفة .
وتهلك ذا العقل الضعيف . من الغوص على الجنون ملوغاصه
صاحبه على العقل . لكان احكم من الحسن البصري وافلاطون
الأثيني وبزرجمهر الفارسي . وقف العقل عند انه لا ينفع ان لم
يؤيد بتوفيق في الدين او يسعد في الدنيا . وقف العلم عند
الجهل بعفات الباري عز وجل . لا آفة على العلوم واهلها
اضر من الدخلاء فيها وهم من غير اهلها فانهم يجهلون ويظنون
انهم يعلمون ويفسدون ويظنون انهم يصلحون . من اراد خير
الآخرة وحكمة الدنيا وعدل السيرة والاحتواء على محاسن
الاخلاق كلها واستحقاق الفضائل باسرها فليقتد بمحمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وليستعمل اخلاقه وسيره ما امكنه . اعاننا
الله على الاتساء به بمنه آمين . غاظني اهل الجهل مرتين من
عمري (احدهما) بكلامهم فيما لا يحسنونه ايام جهلي (والثانية)
بسكوتهم عن الكلام بحضرتي فهم ابداسا كتون عما ينفعهم
ناطقون فيما يضرهم . وسرني اهل العلم مرتين من عمري
(احدهما) بتعاليمي ايام جهلي (والثانية) بمذاكرتي ايام علمي
من فضل العلم والزهد في الدنيا انهما لا يؤتيهما الله عز وجل

الا اهلها ومستحقهما . ومن نقص احوال الدنيا من المال
 والصوت ان اكثر ما يقعان في غير اهلها وفيمن لا يستحقهما .
 من طلب الفضائل لم يساير الا اهلها ولم يرافق في تلك الطريق
 الا اكرم صديق . اهل المواساة والبر والصدق وكرم العشيرة
 والصبر والوفاء والامانة والحلم وصفاء الضمائر وصحة المودة
 ومن طلب الجاه والمال واللذات لم يساير الا امثال الكلاب
 الكلبة والثعالب الخابة ولم يرافق في تلك الطريق الا كل عدو (١)
 المعتقد خيث الطبيعة . منفعة العلم في استعمال الفضائل عظيمة
 وهو انه يعلم حسن الفضائل فيأتيها ولو في الندرة . ويعلم قبح
 الرذائل فيجتنبها ولو في الندرة . ويستمتع الثناء الحسن فيرغب
 في مثله . والثناء الرديء فينفّر منه . فعلى هذه المقدمات
 وجب ان يكون للعلم حصة في كل فضيلة . وللجهل حصة في
 كل رذيلة . ولا يأتي الفضائل من لم يتعلم الا صافي الطبع جدا
 فاضل التركيب . وهذه منزلة خص بها النبيون عليهم الصلاة
 والسلام لان الله علمهم الخير كله دون ان يتعلموه من الناس

(١) كذا الاصل ولعل الصواب مئى المعتقد الخ

﴿ فصل في الاخلاق والسير ﴾

احرص على ان توصف بسلامة الجانب . وتحفظ من
 أن توصف بالدهاء . فيكثر المتحفظون منك حتي ربما أضرب
 ذلك بك وربما قتلك . وطن نفسك على ما تكره يقل همك
 اذا اتاك ولم تستضر بتوطئك أولاً . ويعظم سرورك ويتضاعف
 اذا اتاك ما تحب مما لم تكن قدرته . اذا تكاثرت الهموم
 سقطت كلها . الغادر يفي بالمحدود . والوفي يفدر بالمحدود .
 والسميد كل السميد في دنياه من لم يضطره الزمان الى اختبار
 الاخوان . لا تفكر فيمن يؤذيك فانك ان كنت مقبلاً فهو
 هالك وسعدك يكفيك . وان كنت مدبراً فكل أحد يؤذيك
 طوبى لمن علم من عيوب نفسه اكثر مما يعلم الناس منها .
 الصبر على الجفاء ينقسم ثلاثة أقسام : فصبر عن يقدر عليك
 ولا تقدر عليه . وصبر عن تقدر عليه ولا يقدر عليك .
 وصبر عن لا تقدر عليه ولا يقدر عليك . فالاول ذل ومهانة
 وليس من الفضائل والرأي لمن خشي ما هو أشد مما يصبر
 عليه المتاركة والمباعدة . والثاني فضل وبر وهو الحلم على
 الحقيقة وهو الذي يوصف به الفضلاء . والثالث : ينقسم

قسمين اما ان يكون الجفاء ممن لم يقع منه الا على سبيل الغلط
 ويعلم قبح ما أتى به ويندم عليه . فالصبر عليه أفضل وفرض
 هو حلم على الحقيقة . وأما من كان لا يدري مقدار نفسه
 ويظن ان لها حقاً يستطيل به فلا يندم على ما سلف منه .
 فالصبر عليه ذل للصابر وافساد للمصبور عليه . لانه يزيد استشرائه
 والمعارضة له سخف والصواب أعلامه بانه كان ممكناً ان
 ينتصر منه وانه انما ترك ذلك استرذالا له فقط وصيانة عن
 مراجعته ولا يزداد على ذلك . واما جواب السفلة فليس
 جوابه الا النكال وحده . من جالس الناس لم يعدم هما يؤلم
 نفسه وانما يندم عليه في معاده وغيظاً ينضج كبده وذلا
 ينكس همته . فما الظن بعد بمن خالطهم وداخلهم . والعز الراحة
 والسرور والسلامة في الاتفراد عنهم ولو كن اجعلهم كالنار
 تدفأ بها ولا تخالطها . لا محضر شيئاً من عمل غد لان تخففه (١)

(١) قوله لا محضر شيئاً الخ هكذا في الاصل ولا معنى لهذه العبارة
 على هذه الصفة والظاهر انه سقط منها شيء مع تحريف في الباقي منها
 وصوابها والله أعلم هكذا (لا تؤخر عمل اليوم الى غد الخ وكذا قوله
 ولا تحقر شيئاً مما الخ صوابه ولا تؤخر شيئاً الخ تأمل

بان تمجله اليوم . فان من قليل الاعمال يجتمع كثيرها وربما
 اعجز امرها فبطل السكل . ولا تحقر شيئاً مما ترجوه به تمثيل
 ميزانك يوم البعث ان تمجله الآن وان قل فانه يحط عنك
 كثيراً لو اجتمع لقذف بك في النار . الوجع والفقر والنكبة
 والخوف لا يحس اذاها الا من كان فيها ولا يعده من كان
 خارجا عنها . وفساد الرأي والعار والاثم لا يعلم قبورها الا من
 كان خارجا عنها وليس يراه من كان داخلا فيها . الأمن والصحة
 والغنى لا يعرف حقها الا من كان خارجا عنها . وليس يعرف
 حقها من كان فيها . وجودة الرأي والفضائل وعمل الآخرة
 لا يعرف فضلها الا من كان من اهلها ولا يعرفه من لم يكن
 منها . اول من يزهد في الغادر من غدر له الغادر . واول من
 يمقت شاهد الزور من شهد له به . واول من تهون الزانية في
 عينه الذي يزني بها . مارأينا شيأ فسد فعاد الى صحة الا بعد
 التي فكيف بدماع يتوالى عليه فساد السكر كل ليلة . وان
 عقلا زين لصاحبه تعجيل افساده كل ليلة لعقل ينبغي ان يتهم .
 قد ينحس العاقل بتدبيره ولا يجوز ان يسعد الاحمق بتدبيره .
 لاشيء اضر على السلطان من كثرة المتفرغين حواله . فالحازم

يشغلهم بما لا يظلمهم فيه فان لم يفعل شغلوه بما يظلمونه فيه .
 مقرب اعدائه قاتل نفسه . التهويل بلزوم زي ما والا كفهرار
 وقلة الانبساط ستائر جعلها الجهال الذين مكنتهم الدنيا امام
 جهلهم . ثق بالمتدين وان كان على غير دينك . ولا ثق
 بالمستخف وان اظهر انه على دينك . من استخف بحرمات
 الله تعالى فلا تأمنه على شيء تشفق عليه . وجدت المشاركين
 بازواحهم اكثر من المشاركين باموالهم . وعلة ذلك طيامة في
 البشر . انما تأنس النفس بالنفس . فاما الجسد فمستثقل مبروم
 به . ودليل ذلك استعجال المرء بدفن حبيبه اذا فارقتة نفسه
 واسفه لذهاب النفس وان كانت الجثة حاضرة بين يديه . لم
 أر لا بليس اصيد من كلمتين القاهما على السنة دعائه (احداهما)
 اعتذار من اساء بان فلانا اساء قبله (والثانية) استسهال الانسان
 ان يسيء اليوم لانه قد اساء أمس . بذل الواجبات فرض .
 وبذل ما فضل عن القوت جود . والا يشار على النفس من
 القوت بما لا تهلك على عدمه فضل . ومنع الواجبات حرام .
 ومنع ما فضل عن القوت بخل وشح . والمنع من الا يشار ببعض
 القوت جشع . ومنع النفس او الاهل القوت او بعضه تن

ورذالة ومعصية . والسخاء بما ظلمت فيه او اخذته بغير حقه
ظلم مكرر . والذم جزاء ذلك لا الحمد لأنك انما تبذل مال غيرك
على الحقيقة لا مالاك . واعطاء الناس حقوقهم مما عندك ليس
جوداً ولكنه حق . حد الشجاعة بذل النفس للموت عن
الدين او الحریم او عن الجار المضطهد وعن المستجير المظلوم
وعن الهضيبة ظلماً في المال والعرض وسائر سبيل الحق سواء
قل من يعارض اوكثر . والصبر عما ذكرنا جـ بن وخور .
وبذلها في عرض الدنيا تهور وحمق . واحق من ذلك من بذلها في
المنع من الحقوق والواجبات قبلك او قبل غيرك واحق من هؤلاء
كلهم قوم شاهدتهم لا يدرون فيما يبذلون انفسهم فتارة يقاتلون
زيدا عن عمرو وتارة يقاتلون عمرا عن زيد ولعل ذلك يكون
في يوم واحد فيتعرضون للمهالك بلا معنى فينقلبون الى النار
او يفرون الى العار . وقد انذر بهؤلاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم في قوله : يأتي على الناس زمان لا يدري القاتل فيم قتل
ولا المقتول فيم قتل . حد العفة ان تغض بصرك وجميع جوارحك
عن الاجسام التي لا تحمل لك فما عدا هذا فهو عهر . وما نقص
حتى يمسك عما احل الله تعالى فهو ضعف وعجز . حد العدل

ان تعطي من نفسك الواجب وتأخذه . وحد الجور ان تأخذه
ولا تعطيه . وحد الكرم ان تعطي من نفسك الحق طائعا
وتجاني عن حقك لغيرك قادرا . فالفضل أعم والجود اخص
اذ الحلم فضل وليس جودا والفضل فرض زدت عليه نافلة .
اهمال ساعة يفسد رياضة سنة . خطأ الواحد خير في تدبير
الامور من صواب الجماعة التي لا يجمعها واحد . لان خطأ
الواحد في ذلك يستدرك وصواب الجماعة يضرى على
استدامة الأهمال وفي ذلك الهلاك . سوء الظن يعمده قوم
عييا على الاطلاق وليس كذلك الا اذا أدى صاحبه الى مالا
يحل في الديانة أو الى ما يقيح في المعاملة والا فهو حزم والحزم
فضيلة . عيب بعضهم باتلاف ماله فقال . انى لا اضيع منه الا
ما كان في حفظه نقص ديني او اخلاق عرضي . او إتعاب
نفسى . فانى أرى الذي احفظ من هذه الثلاثة وان قل اجل
في العوض مما يضيع من مالي ولو انه كل ما ذرت (١) عليه
الشمس . أفضل نعم الله على العبد ان يطبعه على العدل
وحبه وعلى الحق وإيثاره . من عيب حب الذكر انه يمحبط

الاعمال اذا أحب عاملها ان يذكر بها وكاد يكون شركا لانه
يعمل لغير الله تعالى وهو يطمس الفضائل لان صاحبه لا يكاد
يفعل الخير حبا للخير اسكن ليدكر به . ابلغ في ذمك من
مدحك بما ليس فيك لانه نبه على نقصك . وابلغ في مدحك
من ذمك بما ليس فيك لانه نبه على فضلك ولقد انتصر لك
من نفسه بذلك وباستهدافه الى الانكار واللائمة . لو علم الناقص
نقصه لكان كاملا . لا يخلو مخلوق من عيب فالسعيد من قلت
عيوبه ودُفنت . اكثر مايكون ما لم تظن فالحزم هو التأهب
لما يظن . فسبحان من رتب ذلك ليرى الانسان عجزه وافتقاره
الى خالقه عز وجل .

﴿ فصل في الاخوان والصدقة والنصيحة ﴾

استبقاك من عاتبك ، وزهد فيك من استهان بشأنك
العتاب للصديق كالسبك للسبيكة فاما تصفو واما تطير . من
طوى من اخوانك سره الذي يعينك دونك اخون لك ممن
افشى سرك . لان من افشى سرك فانما خانك فقط ومن
طوى سره دونك منهم فقد خانك واستخونك . لا ترغب
فيمن يزهد فيك فتحصل على الخيبة والحزي . لا تزهد فيمن

يرغب فيك فانه باب من ابواب الظلم وترك مقارضة الاحسان
وهذا قبيح . من امتحن بان يخالط الناس فلا يلق توهمة كله
الى من صيب . ولا بين منه الا على انه عدو مناصب . ولا
يصبح كل غداة الا وهو مترقب من غدر اخوانه ، وسوء
معاملتهم مثل ما يترب من العدو المكاشف . فان سلم من
ذلك فله الحمد . وان كانت الاخرى اُلفت متأهبا ولم يمتها .
ولا يستعمل مع ذلك سوء المعاملة فيلحق بذوي الشرارة من
الناس واهل الخب منهم . ولكن هاهنا طريق وعرة المسلك
شاقة المتكلف يحتاج سالكها الى ان يكون اهدي من القطا
واحذر من العمق حتى يفارق الناس راحلا الى ربه تعالى وهي
طريق الفوز في الدين والدنيا وهي ان تكتم سر كل من دونك
وان لا تقش الى احد من اخوانك ولا من غيرهم ما يمكنك
طيه بوجه ما من الوجوه وان كان اخص الناس بك . وان تفي
لجميع من ائتمنتك . ولا تأتمن احدا على شيء من أمرك تشفق
عليه الا لضرورة لا بد منها فارتد حينئذ واجتهد وعلى الله
الكفاية . وابذل فضل مالك وجاهك لمن سألك او لم يسألك
ولكل من احتاج اليك وامكنك نفسه وان لم يعمدك بالرغبة

ولا تشعر نفسك انتظار مقارضة علي ذلك من غير ربك عز وجل. ولا تبني الا على ان أول من احسنت اليه اول مضر بك وساع عليك . فان ذوي التراكيب الخبيثة يبغيضون لشدة الحسد كل من احسن اليهم اذا رأوه في أعلى من احوالهم . وعامل كل احد في الانس احسن معاملة واضر السلو عنه . ان فلت ببعض الاوقات التي تأتي مع مرور الايام والليالي تعش سالماً مستريحاً . لانصح على شرط القبول . ولا تشفع على شرط الاجابة . ولا تهب على شرط الاثابة . لكن على سبيل استعمال الفضل وتأدية ما عليك من النصيحة والشفاعة وبذل المعروف . حد الصداقة الذي يدور على طرفي محدوده هو : ان يكون المرء يسوءه ما ساء الآخر ويسره ما سره . فما سفل عن هذا فليس صديقاً . ومن حمل هذه الصفة فهو صديق فيما نصح فيه . وكل ناصح صديق . وليس كل صديق ناصحاً . وحد النصيحة هو : ان يسوء المرء ماضر الآخر ساء ذلك الآخر ام سره . وان يسره مانقعه سر الآخر ام ساءه . فهذا شرط في النصيحة زائد على شروط الصداقة . واقصى غايات الصداقة التي لا مزيد عليها من شراكات

بنفسه وبماله لغير علة توجب ذلك وآثر ك على من سواك .
 ليس شيء من الفضائل اشبه بالذائل من الاستكثار من
 الاخوان والاصدقاء فان ذلك فضيلة تامة متركة لانهم
 لا يكتسبون الا بالحلم والجود والصبر والوفاء والاستتلاع
 والمشاركة والعفة وحسن الدفاع وتعلم العلم وبكل حالة محمودة
 ولنا نغني الاتباع ايام الخدمة لانحرافهم عند انحراف الدنيا
 والمصادقين لبعض الاطماع . ولا المتأدمين على الخمر والمجتمعين
 على المعاصي والقبائح ونيل اعراض الناس والفضول وما
 لا فائدة فيه فليس هؤلاء اصدقاء لنيل بعضهم من بعض
 وانحرافهم عند فقد تلك الذائل التي جمعهم . وانما نغني اخوان
 الصفاء لغير معنى الا لله عز وجل . واذا حصت عيوب
 الاستكثار منهم وما يلزمك من الحق لهم عند نكبة تعرض
 اما بموت او بغيره او فراق او غدر من يغدر منهم كان السرور
 بهم لا يفي بالحزن الممض (١) من اجلهم . وليس في الذائل اشبه
 بالفضائل من محبة المدح فانه في الوجه سخف ممن يرضى به

(١) أمضه الجرح او جمعه ومضه لغة فيه ومضه الشيء مضاً ومضياً

بلغ من قلبه الحزن به كأَمْضِهِ

الا انه قد ينتفع به في الاقصار عن الشر والتزيد من الخيروفي
 ان يرغب في ذلك الخلق الممدوح من سمعه . بعض انواع
 النصيحة يشكل امره من النسيمة لان من سمع انسانا يذم آخر
 ظالما له او يكيد فكم ذلك عن المقول فيه والمكيد كان
 السكتم لذلك ظالما مذموما ثم ان اعلمه بذلك كان قد ولد على
 الدام والكائد مالم يبلغا استحقاته بعد من الاذى فيكون ظالما
 له . وليس من الحق ان يقتص من الظالم باكثر من قدر ظلمه
 فالعاقل في مثل هذا يحفظ المقول فيه من القائل دون ان يبلغه
 ما قال لئلا يقع في الاسترسال اليه فيهلك . واما في الكيد
 فيحفظه من الوجه الذي يكاد منه بالطف ما يقدر في السكتمان
 على الكائد وابع ما يقدر في تخفيظ (١) الكيد ولا يزد على هذا
 شيئا . واما النسيمة فهي التبليغ لما سمع مما لا ضرر فيه على المبلغ
 اليه . النصيحة مرتان فالاول فرض وديانة والثانية تنبيه وتذكير
 والثالثة توبيخ وتقريع وليس وراء ذلك الا التركل واللطام
 وربما اشد من ذلك من البغي والاذى اللهم الا في معاني الديانة

(١) قوله في تخفيظ هكذا في الاصل ولعل الصواب تخفيف او

فواجب على المرء ترداد النصيح رضى المنصوح او سخط .
 تأذى الناصح بذلك اولم يتأذى . اذا نصحت فانصح سرا لاجهرا
 او بتعريض لا تصریح الا ان لا يفهم المنصوح تعريضك فلا بد
 من التصريح . ولا تنصح على شرط القبول منك . فان تعديت
 هذه الوجوه فانت ظالم لا ناصح وطالب طاعة ومملك . لا مؤد
 حق ديانة واخوة . وليس هذا حكم العقل ولا حكم الصداقة
 ولكن حكم الامير مع رعيته والسيد مع عبيده . لا تكاف
 صديقك الا مثل ما تبذل له من نفسك . فان طلبت اكثر
 فانت ظالم . ولا تكسب الا على شرط الفقد ولا تتول الا
 على شرط العزل . والا فانت مضر بنفسك خبيث السيرة .
 مسامحة اهل الاستئثار والاستنعام والتغافل لهم ليس مروءة
 ولا فضيلة . بل مهانة وضعف وتضرية (١) لهم على التماهي
 على ذلك الخلق المذموم وتغيبط لهم به وعون لهم على فعل
 ذلك السوء . وانما تكون المسامحة مروءة لاهل الانصاف
 المبادرين الى المسامحة والا يشار فهو لاء على اهل الفضل ان

(١) قوله وتضرية اي أغراء من ضرى الكلب بالكسر ضراوة
 اي تمود واضر صاحبه عوده واضربه به اي اغراءه وضراة ايضا تضرية اه

يعاملوهم بمثل ذلك لاسيما ان كانت حاجتهم امس وضرورتهم
 اشد (فان قال قائل) فاذا كان كلامك هذا موجبا لاسقاط
 المسامحة والتغافل الاخوان فيه استوى الصديق والمعدو
 والاجنبى في المعاملة فهذا فساد ظاهر (فنقول) وبالله التوفيق
 كلاما يحض الا على المسامحة والتغافل والا يثار ليس لاهل
 التغمم لكن للصديق حقا فان اردت معرفة وجه العمل في
 هذا والوقوف على نهج الحق فان القصة التي توجب الاثر
 من المرء على نفسه صديقه ينبغي لكل واحد من الصديقين
 ان يتأمل ذلك الامر فايهما كان امس حاجة فيه واطهر ضرورة
 لديه فحكم الصداقة والمروءة تقتضى للآخر وتوجب عليه ان
 يؤثر على نفسه في ذلك فان لم يفعل فهو متغمم مستكثر لا ينبغي
 ان يسامح البتة اذ ليس صديقا ولا اخا فاما اذا استوت
 حاجتهما واتفقت ضرورتها فحق الصداقة هاهنا ان يسارع كل
 واحد منها الى الاثر على نفسه فان فعلا ذلك فهما صديقان
 وان بدر احدهما الى ذلك ولم يبادر الآخر اليه فان كانت
 عادته هذه فليس صديقا ولا ينبغي ان يعامل معاملة الصداقة
 وان كان قد يبادر هو ايضا الى مثل ذلك في قصة أخرى فهما

صديقان. من اردت قضاء حاجته بعد ان سألك اياها او اردت
ابتدائه بقضائها فلا تعمل له الا ما يريد هو لا ما تريد انت والا
فامسك فان تعديت هذا كنت مسيئاً لا محسناً ومستحقاً للوم
منه ومن غيره لا للشكر ومقتضياً للعداوة لا للصدقة. لا تنقل
الى صديقك ما يؤلم نفسه ولا ينتفع بمعرفته فهذا فعل
الأرذال. ولا تكتمه ما يستضر بجهله فهذا فعل أهل الشر.
ولا يسرك ان تمدح بما ليس فيك بل ليعظم غمك بذلك لانه
نقصك ينبه الناس عليه ويسمعهم اياه وسخرية منك وهزؤ
بك ولا يرضى بهذا الا أحمق ضعيف العقل. ولا بأس ان
ذمت بما ليس فيك بل أفرح به فانه فضلك ينبه الناس عليه.
ولكن أفرح اذا كان فيك ما تستحق به المدح وسواء مدحت
به أو لم تمدح. واحزن اذا كان فيك ما تستحق به الذم فسواء
ذمت به أو لم تذم. من سمع قائلاً يقول في امرأة صديقه قول
سوء فلا يخبره بذلك أصلاً لاسيما اذا كان القائل عيابة وقاعافي
الناس سايط اللسان أو دافع مغرم عن نفسه يريد ان يكثر أمثاله
في الناس وهذا كثيراً موجود. وبالجملة فلا يحدث الانسان
الا بالحق. وقول هذا القائل لا يدري أحق هو أم باطل الا

انه في الديانة عظيم . فان سمع القول مستنيزاً من جماعة وعلم
ان أصل ذلك القول شائع وليس راجعاً الى قول انسان واحد
أو اطلع على حقيقته الا انه لا يقدر يوقف صديقه على ما وقف
عليه هو فليخبره بذلك بينه وبينه في رفق وليقل له : النساء
كثير او حصن منزلك وثقف أهلك أو اجتنب أمرا كذا
وتحفظ من وجه كذا . فان قبل المنصوح وتحرز فحفظ نفسه
اصاب . وان رآه لا يتحفظ ولا يبالي أمسك ولم يعاوده بكلمة
وتمادى على صداقته اياه فليس في ان لا يصدقه في قوله ما يوجب
قطيعته . فان إطلع على حقيقة وقدر أن يوقف صديقه على مثل
ما وقف هو عليه من الحقيقة فقرر ض عليه ان يخبره بذلك وان
يوقفه على الجلية . فان غير فذلك وان رآه لا يغير اجتنب صحبته
ولا خير فيه ولا بغية . ودخول رجل متستر في منزل المرأة
دليل سوء لا يحتاج الى غيره . ودخول المرأة في منزل رجل
على سبيل التستر . مثل ذلك أيضاً . وطالب دليلا أكثر من
ذلك سخف . وواجب ان يجتنب مثل هذه المرأة وفراقها
على كل حال . وممسكها لا يبعد عن الديانة . الناس في بعض
أخلاقهم على تسع مراتب . فطائفة تمدح في الوجه وتذم في

المغيب وهذه صفة أهل النفاق والعيابين وهذا خلق فاش في
 الناس غالب عليهم : وطائفة تدم في المشهد والمغيب وهذه صفة
 أهل السلاطة والوقاحة من العيابين وطائفة تمدح في الوجه والغيب
 وهذه صفة أهل الملق والطمع : وطائفة تدم في المشهد وتمدح في
 المغيب وهذه صفة أهل السخف والنواكفة . وأما أهل الفضل
 فيمسكون عن المدح والذم في المشاهدة ويشنون بالخير في
 المغيب أو يمسكون عن الذم . وأما العيابون البرآء من النفاق
 والتقحة فيمسكون عن المدح وعن الذم في المشهد والمغيب .
 ومن كل من أهل هذه الصفات قد شاهدنا وبلونا . اذا نصحت
 ففي الخلاء وبكلام لين ولا تسند سب من تحدثه الى غيرك
 فتكون نماما فان خشنت كلامك في النصيحة فذلك اغراء
 وتنفير . وقد قال تعالى : فقولا له قولا لينا . وقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لا تنفر . وان نصحت بشرط القبول منك
 فانت ظالم ولعلك تخطيء في وجه نصحتك فتكون مطالبا
 بقبول خطئك وبترك الصواب . لكل شيء فائدة ولقد انتفعت
 بمحك أهل الجهل منفعة عظيمة وهي انه توقد طبعي واحتدم
 خاطري وحي فكري وتهيج نشاطي فكان ذلك سببا الى

توالي ف عظيمة النفع ولولا استشارتهم ساكنى واقتداحهم كامنى
 ما انبعثت لتلك التواليف . لاتصاهر الى صديق ولا تبايعه
 فما رأينا هذين العاملين الا سبباً للقطيعة . وان ظن اهل الجمل
 ان فيهما تأكيداً للصلة فليس كذلك . لان هذين العقدين
 داعيان كل واحد الى طلب حظ نفسه . والموثران على انفسهم
 قليل جدا . فاذا اجتمع طلب كل امرىء حظ نفسه وقعت
 المنازعة ومع وقوعها فساد المروءة . واسلم المصاهرة مغبة
 مصاهرة الاهلين بمضهم . ايضا لان القرابة تقتضى العدل وان
 كرهوه لانهم مضطرون الى ما لا انفكاك لهم منه من
 الاجتماع فى النسب الذى توجب الطبيعة لكل احد الذب
 عنه والحماية له

❖ فصل فى انواع المحبة ❖

وقد سئلت عن تحقيق القول فيها وفى انواعها . المحبة
 كلها جنس واحد ورسمها انها الرغبة فى المحبوب وكراهة
 منافرتة والرغبة فى المقارضة منه بالمحبة . وانما قدر الناس انها
 تختلف من اجل اختلاف الاغراض فيها . وانما اختلفت
 الاغراض من اجل اختلاف الاطماع وتزايدها وانحسامها

فتكون المحبة لله عز وجل وفيه . والاتفاق على بعض المطالب
والأب والابن والقراية والصديق والسلطان ولذات الفراش
وللمحسن والمأمول وللمعشوق . فهذا كله جنس واحد
اختلفت انواعه كما وصفت لك على قدر الطمع فيما ينال فلذلك
اختلفت وجوه المحبة . وقد رأينا من مات اسفاً على ولده كما
يموت العاشق اسفاً على معشوقه . وبلغنا عن شهق من خوف
الله تعالى ومحبه فمات . وتجد المرء يغار على سلطانه وعلى
صديقه كما يغار على ذات فراشه وكما يغار العاشق على معشوقه
فأدنى اطماع المحبة ممن تحب الحظوة منه والرفعة لديه والزلفة
عنده اذا لم تطمع في اكثر . وهذه غاية اطماع المحبين لله ثم
يزيد الطمع في المجالسة ثم في المحادثة والموازية . وهذه اطماع
المرء في سلطانه وصديقه وذوي رحمه . واقصى اطماع المحب
ممن يحب المخالطة بالاعضاء اذا رجا ذلك ولذلك نجد المحب
المفرط المحبة في ذات فراشه يرغب في جماعها على هيات شتى في
اماكن مختلفة ليستكثر من الاتصال . ويدخل في هذا الباب
الملاسة بالجسد والتقبيل . وقد يقع بعض هذا الطمع في
الأب وفي ولده فيتعدى الى التقبيل والتعنيق . وكل ما ذكرنا

انما هو على قدر الطمع . فاذا انحسم الطمع عن شيء ما ابعض
 الأسباب الموجبة له مالت النفس الى ما تطمع فيه . وتجد
 المقر بالرؤية شديد الحنين اليها عظيم التروح نحوها لا يقنع
 بدرجة نحوها لانه يطمع فيها . وتجد المنكر لها لا تحن نفسه
 الى ذلك ولا يتمناه اصلا لانه لا يطمع فيه وتجد يقتصر على
 الرضا والحلول في دار الكرامة فقط لانه لا تطمع نفسه في
 اكثر . ونجد المستحل لنكاح القرايب لا يقنع منهم بما يقنع
 الحرم لذلك ولا تقف محبته حيث تقف محبة من لا يطمع في
 ذلك . فتجد من يستحل نكاح ابنته وابنة اخيه كالجوس
 واليهود لا يقف من محبتها حيث تقف محبة المسلم بل تجدهما
 يتعشقان الابنة وابنة الاخ كتعشق المسلم فيمن يطمع في مخالطته
 بالجماع . ولا تجد مسلما يبلغ ذلك فيهما ولو انها اجمل من
 الشمس وكان هو اعمر الناس واغزلهم فان وجد ذلك في
 النذرة فلا تجده الا من فاسد الدين قد زال عنه ذلك الرادع
 فانفسح الامل وانفتح له باب الطمع . ولا يأمن المسلم ان
 تفرط محبته لابنة عمه حتى يصير عشقا وحتى تتجاوز محبته لها
 محبته لابنته وابنة اخيه وان كانتا اجمل منها لانه يطمع من

الوصول الى ابنة عمه حيث لا يطمع من الوصول الى ابنته وابنة
اخيه . وتجد النصراني قد امن ذلك من نفسه من ابنة عمه
لانه لا يطمع منها في ذلك . ولا يأمن ذلك من نفسه في اخته
من الرضاعة لانه طامع بها في شرعته . فلاح بهذا عيانا ما ذكرنا
من ان المحبة كلها جنس واحد لكنها تختلف انواعها على قدر
اختلاف الاغراض فيها والا فطباع البشر كلهم واحدة الا ان
للمادة والاعتقاد الدياني تأثيراً ظاهراً ولسنا نقول : ان الطمع
له تأثير في هذا الفن وحده . لكننا نقول : ان الطمع سبب
الى كل هم وحتى في الاموال والاحوال . فاننا نجد الانسان
يموت جاره وخاله وصديقه وابن عمته وعمه لام وابن اخيه
لام وجده أبو امه وابن بنته فاذا لامطمع له في ماله ارتفع عنه
الهم بنوته عن يده وان جل خطره وعظم مقداره فلا سبيل
الى ان يمر الاهتمام بشيء منه بباله واذا مات له عصابة على بعد
أو مولى على بعد حدث له الطمع في ماله وحدث له من الهم
والاسف والغيظ والفكره بنوت اليسير منه عن يده أمر
عظيم . وهكذا في الاحوال فتجد الانسان من اهل الطبقة
المتأخرة لا يهتم لا تفاد غيرهم امور بلددون أمره ولا لتقريب

غيره او بعده حتى اذا حدث مطمع في هذه المرتبة حدث له
 من الهم والفكرة والغيظ أمر ربما قاده الى تلف نفسه وتلف
 دنياه وأخراه . فالطمع اذا اكل كل ذل ولكل هم وهو خلق
 سوء ذميم . وضده نزاهة النفس . وهذه صفة فاضلة مركبة
 من النجدة والجود والعدل والفهم لانه رأى قلة الفائدة في
 استعمال ضدها فاستعملها وكانت فيه نجدة اتجت له عزة نفسه
 فتزده وكانت فيه طيبة سخاوة نفس فلم يهتم لما فاتته وكانت
 فيه طيبة عدل حببت اليه القنوع وقلة الطمع . فاذن نزاهة
 النفس متركبة من هذه الصفات . فالطمع الذي هو ضدها
 متركب من الصفات المضادة لهذه الاربعة صفات وهي الجبن
 والشح والجور والجهل . والرغبة طمع مستوفي متزايد مستعمل
 ولولا الطمع ماذل أحد لا حد . واخبرني أبو بكر بن أبي الفياض
 قال كتب عثمان ابن محامس على باب داره بأسحه يا عثمان
 لا تطمع

﴿ فصل من هذا الباب ﴾

من امتحن بقرب من يكره . كمن امتحن بصد من يحب
 ولا فرق إذا دعا المحب في السلو فاجابته مضمونة وهي دعوة

مجابة . اقتنع بمن عندك يقنع بك من عندك . السعيد في المحبة
 هو من ابتلى بمن يقدر ان يلقي عليه قفله ولا تلحقه في مواصلته
 تبعه من الله عز وجل ولا ملامة من الناس . وصلاح ذلك
 ان يتوافقا في المحبة . وتحريره ان يكونا خاليين من المأل فانها
 خلق سوء منفص وتماه نوم الايام عنهما مدة انتفاع بعضهما
 ببعض واني بذلك الا في الجنة . وأما ضمانه ييقن فليس الا فيها
 فهي دار القرار والافلو حصل ذلك كله في الدنيا لم تؤمن
 الفجائع ولقطع العمر دون استيفاء اللذة . اذا ارتفعت الغيرة
 فايقن بارتفاع المحبة . الغيرة خلق فاضل متركب من النجدة
 والعدل . لان من عدل كره ان يتعدى الى حرمة غيره وان
 يتعدى غيره الى حرمة . ومن كانت النجدة له طبعاً حدثت
 فيه عزة . ومن العزة تحدث الاتفة من الاهتضام . اخبرني
 بعض من صحبناه في الدهر عن نفسه انه ما عرف الغيرة قط
 حتى ابتلى بالمحبة فغار وكان هذا الخبر فاسد الطبع خبيث
 التركيب الا انه من اهل الفهم والجود . درج المحبة خمسة
 اولها الاستحسان وهو ان يمثل الناظر صورة المنظور اليه
 حسنه او يستحسن اخلاقه وهذا يدخل في باب التصديق .

ثم الإعجاب وهو رغبة الناظر في المنظور اليه في قربه . ثم
الالفة وهي الوحشة اليه اذا غاب . ثم الكلف وهو غلبة شغل
البال به وهذا النوع يسمى في الغزل العشق . ثم الشغف وهو
امتناع النوم والاكل والشرب الا اليسير من ذلك . وربما
أدى ذلك الى المرض او الى التوسوس أو الى الموت . وليس
وراء هذا منزلة في تناهي المحبة أصلاً

﴿ فصل ﴾

كنا نظن ان العشق في ذوات الحركة والحدة من النساء
اكثر فوجدنا الامر بخلاف ذلك وهو في الساكنة الحركات
اكثر ما لم يكن ذلك السكون بلها

﴿ فصل ﴾

في انواع صباحة الصور وقد سئلت عن تحقيق الكلام فيها
(فقلت) الخلاوة دقة المحاسن واطف الحركات وخفة الاشارات
وقبول النفس لاعراض الصور وان لم تكن ثم صفات ظاهرة
القوام جمال كل صفة على وحدتها ورب جميل الصفات على
انفراد كل صفة منها بارد الطلعة غير مليح ولا حسن ولا رائع
ولا حلو الروعة بهاء الاعضاء الظاهرة . وهي ايضاً الفراهة .

والعق الحسن . وهو شيء ليس له في اللغة اسم يعبر به عنه
ولكنه محسوس في النفوس باتفاق كل من رآه . وهو برد
مكسو على الوجه واشراق يستميل القلوب نحوه فتجتمع
الآراء على استحسانه وان لم تكن هناك صفات جميلة فكل
من رآه راقه واستحسنه وقبله حتى اذا تأملت الصفات افراداً
لم تر طائلاً . وكأنه شيء في نفس المرء يجده نفس الرائي .
وهذا اجل مراتب الصباحة . ثم تختلف الالهواء بعد هذا
فن مفضل الروعة ومن مفضل للحلاوة . وما وجدنا أحداً
قط يفضل القوام المنفرد . الملاحظة اجتماع شيء بشيء مما ذكرنا
﴿ فصل فيما يتعامل به الناس في الاخلاق ﴾

التلون المذموم هو . التنقل من زى متكلف لا معنى
له الى زى آخر مثله في التكلف وفي انه لا معنى له ومن حال
لا معنى لها الى حال لا معنى لها بلا سبب يوجب ذلك . فاما
من استعمل من الزى ما امكنه مما به اليه حاجة وترك التزيد
مما لا يحتاج اليه فهذا عين من عيون العقل والحكمة كثير .
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القدوة في كل
خير والذي اثنى الله تعالى على خلقه والذي جمع الله تعالى فيه

اشتات الفضائل بتمامها وابنده عن كل نقص . يعود المريض
مع اصحابه راجلا في اقصى المدينة بلا خوف ولا نمل ولا قلنسوة
ولا عمامة . ويلبس الشعر اذا حضره . ويلبس الوشي من
الحبرات اذا حضره لا يتكلف . الا يحتاج اليه . ولا يترك
ما يحتاج اليه . يستغنى بما وجد عما لا يجد . ومرة يمشي حافيا
راجلا . ومرة يلبس الخف ويركب البغلة الرائعة الشهباء .
ومرة يركب الفرس . ومرة يركب الناقة . ومرة يركب حمارا
ويردف عليه بعض اصحابه . ومرة يأكل التمر دون خبز والخبز
يابسا . ومرة يأكل العناق (١) المشوية والبطيخ بالرطب
والحلواء يأخذ القوت ويبذل الفضل ويترك ما لا يحتاج اليه
ولا يتكلف فوق مقدار الحاجة ولا يغضب لنفسه ولا يدع
الغضب لربه عز وجل . الثبات الذي هو صحة العقد . والثبات
الذي هو اللجاج يشبهان اشتباها لا يفرق بينهما الا عارف
بكيفية الاخلاق . والفرق بينهما ان اللجاج هو ما كان على الباطل
او ما فعله الفاعل نصرا لما نسب فيه وقد لاح له فسادة او لم
يلح له صوابه ولا فسادة . وهذا مذموم . وضده الانصاف

(١) العناق كسحاب الانثى من اولاد المعز

واما الثبات الذي هو صحة العقد فانما يكون على الحق او على
 ما اعتقده المرء حقاً مالم يباح له باطله . وهذا محمود . وضده
 الاضطراب . وانما يلام بعض هذين لانه ضيع تدبر ما ثبت
 عليه وترك البحث عما التزم أحق هو ام باطل . حدد العقل
 استعمال الطاعات والفضائل وهذا الحد ينطوي فيه اجتناب
 المعاصي والرذائل وقد نص الله تعالى في غير موضع من كتابه
 على ان من عضاه لا يعقل (وقال) الله تعالى حاكماً عن قوم وقالوا
 لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في اصحاب السعير . ثم قال تعالى
 مصداقاً لهم فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لاصحاب السعير . وحد
 الحق استعمال المعاصي والرذائل . واما التعدي وقذف الحجارة
 والتخليط في القول فانما هو جنون وصرار هائج . واما الحق
 فهو ضد العقل وهما ما بيننا آتفاً ولا واسطة بين العقل والحق
 الا السخف . وحد السخف هو العمل والقول بما لا يحتاج
 اليه في دين ولا دنيا ولا حميد خلق مما ليس معصية ولا طاعة
 ولا عوناً عليها ولا فضيلة ولا رذيلة مؤذية ولكنه من هذر
 القول وفضول العمل . فعلى قدر الاستكثار من هذين الامرين
 والتقلل منهما يستحق المرء اسم السخف . وقد يسخف المرء

في قصة ويعقل في أخرى ويحقق في ثالثة . وضد الجنون
 تميز الاشياء ووجود القوة على التصرف في المعارف والصناعات
 وهذا الذي يسميه الاوائل النطق ولا واسعة بينهما . واما
 احكام أمر الدنيا والتودد الى الناس بما وافقهم وصالحت عليه
 حال المتودد من باطل او غيره أو عيب أو ماعداه والتحيل في
 إنماء المال وبعد الصوت وتمشية الجاه بكل ما امكن من معصية
 ورذيلة فليس عقلا . واقد كان الذين صدقهم الله في انهم
 لا يعقلون واخبرنا بانهم لا يعقلون سائسين لدنياهم مشمرين
 لاموالهم حافظين لرياستهم لكن هذا الخلق يسمى الدهاء
 وضده العقل والسلامة ، واما اذا كان السعى فيما ذكرنا بما
 فيه تصاون وانفة فهو يسمى الحزم ، وضده المنافي له التضضيع
 واما الوفاء . ووضع الكلام موضعه والتوسط في تدبير المعيشة
 ومسايرة الناس بالمسالمة فهذه الاخلاق تسمى الرزانة . وهي
 ضد السخف . الوفاء مركب من العدل والجود والنجدة .
 لان الوفي رأى من الجور ان لا يعارض من وثق به أو من
 أحسن اليه بعدل في ذلك . ورأى ان يسمح بعاجل يقتضيه
 له عدم الوفاء من الحظ فجاد في ذلك ، ورأى ان يتجدد لما يقع

من عاقبة الوفاء فشجع في ذلك (اصول) الفضائل اربعة عنها
 تتركب كل فضيلة وهي العدل والفهم والنجدة والجود (اصول)
 الرذائل كلها اربعة عنها تتركب كل رذيلة وهي اضرار الذي
 ذكرنا وهي : الجور والجهل والجبن والشح الامانة والعفة
 نوعان من انواع العدل والجود قال ابو محمد علي بن احمد مما
 قلته في الاخلاق

انما العقل اس — اس فوقة الاخلاق سور
 خالي العقل بالعلم لم والا فهو بور
 جاهل الاشياء اع — مي لا يرى كيف يدور
 وتنام العلم بالعدل ل والا فهو زور
 وزمام العدل بالجود — والا فيجور
 وملاك الجود بالنجدة — والجبن غرور
 عفا ان كنت غيور را مازنى قط غيور
 وكمال الكل بالتقوى — وقول الحق نور
 ذي اصول الفضل — احدثت بعد النذور
 ومما قلته ايضاً

جميع اصول النضائل عدل وفهم وجود وبأس

فمن هذه ركبت غيرها فمن حازها فهو في الناس راس
 كذا الراس فيه الامور التي باحساسها يكشف الالتباس
 في النفس فضيلة تركبت من النجدة ، وكذلك الصبر .
 والحلم نوع مفرد من انواع النجدة . والقناعة فضيلة مركبة
 من الجود والعدل . الشره متولد عن الطمع . والطمع متولد
 عن الحسد . والحسد متولد عن الرغبة . والرغبة متولدة عن
 الجور والشح والجهل (الحرص) ويتولد من الحرص ذائل
 عظيمة منها الذل والسرقه والغصب والزنا والقتل والعشق والهم
 بالفقر والمسئلة لما بايدي الناس . وانما فرقنا بين الحرص والطمع
 لان الحرص هو . اظهار ما استكن في النفس من الطمع .
 (والمدارة) فضيلة مترتبة من الحلم والصبر . الصدق مركب
 من العدل والنجدة . لاشيء اقبح من الكذب وما ظنك
 بعيب يكون الكفر نوعا من انواعه فكل كفر كذب
 فالكذب جنس الكفر نوع تحته . (الكذب) متولد من
 الجور والجهل . لان الجبن يولد مهانة النفس والكذاب
 مهين النفس بعيد عن عزتها المحموده . رأيت الناس في كلامهم
 الذي هو فصل بينهم وبين الحمير والكلاب والحشرات

ينقسمون أقساماً ثلاثة (أحدها) من لا يبالي فيما انفق كلامه
فيتكلم بكل ما سبق إلى لسانه غير محقق نصر حق ولا إنكار
باطل وهذا هو الأغلب في الناس (والثاني) أن يتكلم ناصراً
لما وقع في نفسه أنه حق . ودافعاً لما توهم أنه باطل . غير محقق
لطلب الحقيقة لكن لجأً فيما التزم وهذا كثير . وهو دون
الأول (والثالث) واضع الكلام في موضعه وهذا اعز من
الكبريت الأحمر لقد طال هم من غاظه الحق . أثان عظمت راحتها
أحدهما في غاية المدح ، والآخر في غاية الذم . وهما مطرح
الدنيا وم طرح الحياء . من عجيب تدبير الله عز وجل للعالم أن
كل شيء اشتدت الحاجة إليه كان ذلك أهون له . وتأمل
ذلك في الماء فما فوقه وكل شيء اشتد الغنى عنه كان ذلك اعز
له . وتأمل ذلك في الأياقوت الأحمر فما دونه الناس فيما يعانون
كالماشى في الفلاة كلما قطع أرضاً بدت له أرضون . وكلما قصد
المرء سبباً حدثت له أسباب . صدق من قال إن العاقل في
الدنيا متموب . وصدق من قال أنه فيها مستريح . فاما تعبته
فما يرى من انتشار الباطل وغلبته دولته وبما يحال بينه من
إظهار الحق . واما راحته فمن كل ما يهتم به سائر الناس من

فضول الدنيا. إياك وموافقة الجليس السيء ومساعدة أهل زمانك
 فيما يضرّك في أخراك أو في دنياك وإن قل فانك لا تستفيد
 بذلك إلا الندامة حيث لا ينفعك الندم. ولن يحمّدك امرؤ
 ساعدته بل يشمت بك. وأقل ذلك وهو المضمون أنه
 لا يبالي سوء عاقبتك وفساد مغبتك. وإياك ومخالفة الجليس
 ومعارضة أهل زمانك في ما لا يضرّك في دنياك ولا في
 أخراك وإن قل فانك تستفيد بذلك الأذى والمنافرة والعداوة
 وربما أدى ذلك إلى المطالبة والضرر العظيم دون منفعة أصلاً
 إن لم يكن بد من اغضاب الناس واغضاب الله عز وجل ولم
 يكن لك مندوحة عن منافرة الخلق أو منافرة الحق فأغضب
 الناس ونافرهم. ولا تغضب ربك ولا تنافر الحق. الانساء بالنبي
 صلى الله عليه وسلم في وعظه أهل الجهل والمعاصي والردائل
 واجب. فمن وعظ بالجفا والا كفهرار فقد أخطأ وتعمدى
 طريقه صلى الله عليه وسلم وصار في أكثر الأمر مغرياً الموعوظ
 بالتمادي على أمره لجأاً وحرماً ومغايرة للوعظ الجافي فيكون
 في وعظه سيئاً لا محسناً. ومن وعظ ببشر وتبسم ولين كأنه
 مشير برأي ومخبر عن غير الموعوظ بما يستقبح من الموعوظ

فذلك المبلغ وانجم في الموعظة . فان لم ينتقل فلينتقل الى الوعظ .
 بالتحشيم وفي الخلاء . فان لم يقبل ففي حضرة من يستحي منه
 الموعوظ . فهذا أدب الله في امره بالقول اللين . وكان صلي
 الله عليه وسلم لا يواجهه بالموعظة لكن يقول : ما بال اقوام
 يفعلون كذا . وقد اتى عليه الصلاة والسلام على الرفق .
 وامر بالتيسير . ونهى عن التنفير . وكان يتحول بالموعظة
 خوف الملل . (وقال) تعالى : ولو كنت فظا غليظ القاب
 لانفضوا من حولك . (واما) الغلظة والشدة فانما تجب في
 حد من حدود الله تعالى فلا لين في ذلك للقادر على اقامة
 الحد خاصة . ومما ينجم في الوعظ أيضاً الثناء بحضرة المسيح
 على من فعل خلاف فعله . فهذا داعية الى عمل الخير وما لعلم
 لحب المدح فضلا الا هذا وحده . وهو ان يقتدي به من يسمع
 الثناء ولهذا نوجب ان نؤرخ الفضائل والردائل لينفر سامعها
 عن القبيح المأثور عن غيره ويرغب في الحسن المنقول عن
 تقدمه ويتعظ بما سلف . وتأملت كل مادون السماء وطالت
 فكرتي فوجدت كل شيء فيه من حي وغير حي طبعه ان
 قوى ان يقلع عن غيره من الانواع كفياته ويلبسه صفاته فترى

الفاضل يود لو كان الناس فضلاء وترى كل من ذكر شيئاً
يحض عليه بقول أو فعل أمراً مداماً وكل ذي مذهب يود
لو كانت الناس موافقين له وترى ذلك في الغياض إذا حال
بعضها على بعض أخاله إلى نوعيته وترى ذلك في تركيب
الشجر وفي تغذي النبات والشجر والماء ورطوبة الأرض
وإحالتها ذلك إلى نوعيتها فسبحان مخترع ذلك ومدبره لا اله
إلا هو (من عجيب) قدرة الله تعالى كثرة الخلق ثم لا ترى
أحداً يشبه آخر شياً لا يكون بينهما فيه فرق وقد سألت من
طال عمره وبلغ الثمانين عاماً هل رأى الصور في ما خلا مشبهة
لهذه شياً واحداً فقال لا بل لكل صورة فرقها وهكذا كل
ما في العالم يعرف ذلك من تدبر الآلات وجميع الأجسام
المركبات وطال تكرر بصره عليها فإنه حينئذ يميز ما بينها
ويعرف بعضها من بعض بفروق فهذا تعرفها النفس ولا يقدر
أحد يعبر عنها بلسانه فسبحان العزيز الحكيم الذي لا تنهاى
مقدوراته

﴿ فصل في مداواة ادواء الاخلاق الفاسدة ﴾

من امتحن بالعجب فليفكر في عيوبه . فان اعجب

بفضائله فليفتش ما فيه من الاخلاق الدنيئة . فان خفيت عليه
 عيوبه جملة حتى يظن انه لا عيب فيه فليعلم ان مصيبتة الى الابد
 وانه اثم الناس نقصاً واعظمهم عيوباً وأضعفهم تمييزاً وأول ذلك
 ان ضعيف العقل جاهل . ولا عيب اشد من هذين لان
 العاقل هو من ميز عيوب نفسه فغالبا وسمى في قمها .
 والاحق هو الذي يحل عيوب نفسه اما اقله علمه وتميزه
 وضعف فكرته . واما لانه يقدر ان عيوبه خصال وهذا اشد
 عيوب الارض . وفي الناس كثير يفخرون بالزنا واللباط
 والسرقة والظلم فيعجب بتأتى هذه النجوس له وبقوته على هذه
 المخازي (واعلم) يقينا انه لا يسلم انسي من نقص حاشا الانبياء
 صلوات الله عليهم فمن خفيت عليه عيوب نفسه فقد سقط
 وصار من السخف والضعف والردالة والخسة وضعف التمييز
 والعقل وقلة الفهم بحيث لا يتخلف عنه متخلف من الارذال
 وبحيث ليس تحته منزلة من الدناءة فليتدارك نفسه بالبحث
 عن عيوبه والاشتغال بذلك عن الاعجاب بها وعن عيوب غيره
 التي لا تضره لافي الدنيا ولا في الآخرة . وما أدري لسماع
 عيوب الناس خصلة الا الاتماظ بما يسمع المرء منها فيجتنبها

ويسمى في ازالة ما فيه منها بحول الله تعالى وقوته (واما) النطق
 بعيوب الناس فعيب كبير لا يسوغ اصلا والواجب اجتنابه
 الا في نصيحة من يتوقع عليه الاذى بمدخلة المعيب أو على
 سبيل تبكيك المعجب فقط في وجهه لا خلف ظهره ثم يقول
 للمعجب ارجع الى نفسك فاذا ميزت عيوبها فقد داريت
 عجبك ولا تمثل بين نفسك وبين من هو اكثر عيوباً منها
 فتستسهل الرذائل وتكون مقلداً لاهل الشر وقد ذم تقليد
 اهل الخير فكيف تقليد اهل الشر . لكن مثل بين نفسك
 وبين من هو افضل منك حينئذ يتلف عجبك وتفيق من هذا
 الداء القبيح الذي يولد عليك الاستخفاف بالناس وفيهم بلا
 شك من هو خير منك فاذا استخففت بهم بغير حق استخفوا
 بك بحق لان الله تعالى يقول . وجزاء سيئة سيئة مثلها .
 فتولد على نفسك الاستخفاف بك بل على الحقيقة مع
 مقت الله عز وجل وطمس ما فيك من فضيلة . فان اعجبت
 بمقلك فتفكر في حل فكرة سوء : تحل بخاطرك وفي اضاليل
 الالمانى الطائفة بك فانك تعلم لم نقص ثقلك حينئذ . وان اعجبت
 بأرائك فتفكر في سقطاتك واحفظها ولا تنسها وفي كل رأي

قدرته صوابا فخرج بخلاف تقديرك وأصاب غيرك واخطأت
 انت . فانك ان فعلت ذلك فأقل أحوالك ان يوازن سقوط
 رأيك صوابه فتخرج لالك ولا عليك والاغلب ان خطأك
 اكثر من صوابك وهكذا كل احد من الناس بعد النبيين
 صلوات الله عليهم . وان اعجبت بخيرك فتفكر في معاصيك
 وفي تقصيرك وفي معايبك ووجوهه فوالله لتجدن من ذلك
 ما يغلب على خيرك ويعني على حسناتك فليطل همك حينئذ
 وأبدل من العجب نقصاً لنفسك . وان اعجبت بعلمك فاعلم
 أنه لا خصلة لك فيه وأنه موهبة من الله مجردة وهبك اياها
 ربك تعالى فلا تقابلها بما يسخطه فاعلمه ينسبك ذلك بعلة يمتحنك
 بها تولد عليك نسيان ما علمت وخففت . ولقد اخبرني عبد
 الملك ابن طريف وهو من أهل العلم والذكاء واعتدال
 الاحوال وصحة البحث انه كان ذاحظ من الحفظ عظيم لا يكاد يمر
 على سمعة شيء يحتاج الى استعادته وانه ركب البحر فمر به فيه هول
 شديد انساه اكثر ما كان يحفظ وأخل بقوة حفظه إخلالا
 شديداً لم يعاوده ذلك الذكاء بعد . وانا اصابتي علة فافقت
 منها وقد ذهب ما كنت احفظ الا ما لا قدر له فما عاودته الا بعد

أعوام واعلم ان كثيرا من اهل الحرص على العلم يجدون في
القراءة والاكباب على الدرس والطلب ثم لا يرزقون منه حظا
فليعلم ذو العلم انه لو كان بالا كباب وحده لكان غيره فوقه (١)
فصح انه موهبة من الله تعالى فأني مكان للعجب هاهنا ما هذا
الاموضع تواضع وشكر لله تعالى واستزادة من نعمه واستمادة
من سلبها . ثم تفكر أيضا في أن ما خفي عليك وجهته من
أنواع العلم ثم من اصنافها فماذا تفكر به فالذي أعجبت
بنفاذك فيه العلم من فلك ما جعل مكان العجب استنقاصا
لنفسك واستقصاءا لغيرك . ومن ثم كان أعلم منك تجدهم
كثيرا فلهن نفسك عندك حينئذ وتفكر في اخلاك بعلمك
وانك لا تعمل بما علمت منه فعلمك عليك حجة حينئذ ولقد
كان اسلم لك لو لم تكن عالما واعلم ان الجاهل حينئذ اعقل منك
وأحسن حالا واعذر فليسقط عجبك بالكافية ثم لعل علمك
الذي تعجب بنفاذك فيه من العلوم المتأخرة التي لا كبير خصلة
فيها كالشعر وما جرى مجراه . وانظر حينئذ الى من علمه
أجل من علمك في مراتب الدنيا والآخرة فهون نفسك

عليك . وان اعجبت بشجاعتك فتفكر فيمن هو اشجع
 منك ثم انظر في تلك النجدة التي منحك الله تعالى فيم صرفتها
 فان كنت صرفتها في معصية فانت احق لالك بذلت نفسك
 فيما ليس ثمنًا لها . وان كنت صرفتها في طاعة فقد افسدتها
 بعجبك ثم تفكر في زوالها عنك بالشيخوخة وانك ان عشت
 فستصير من عدد العيال وكالصبي ضعفًا . على اني ما رأيت
 العجب في طائفة اقل منه في اهل الشجاعة واستدللت بذلك
 على نزاهة انفسهم ورفعتها وعلوها . وان اعجبت بجاهلك في
 دنياك فتفكر في مخالفيك واندادك ونظرائك ولعلمهم اخساء
 وضعاء سقاط فأعلم انهم امثالك فيما انت فيه ولعلمهم ممن
 يستحي من التشبه بهم لفرط رذالتهم وخساستهم في انفسهم
 واخلاقهم ومنابتهم فاستحصن بكل منزلة شاركك فيها من
 ذكر وان كنت مالك الارض كلها ولا مخالف عليك وهذا
 بعيد جدا في الامكان فما نعلم احدا ملك معمور الارض كله
 على قلته وضيق ساحته بالاضافة الى غامرها فكيف اذا اضيف
 الى الفلك المحيط فتفكر فيما قال ابن السماك للرشيد وقد دعا
 بحضرته بقدرح فيه ماء ليشربه فقال له يا امير المؤمنين فلو منعت

هذه الشربة بكم كنت ترضى ان تبتاعها؟ فقال له الرشيد بملكى
كله . قال يا امير المؤمنين فلو منعت خروجها منك بكم كنت
ترضى ان تفتدي من ذلك قال بملكى كله . قال يا امير المؤمنين
انفتبط بملك لا يساوي بولة ولا شربة ماء . وصدق ابن السماك
رحمه الله . وان كنت ملك المسلمين كلهم فاعلم ان ملك السودان
وهو رجل اسود مكشوف العورة جاهل يملك أوسع من
ملكك . فان قلت انا اخذته بحق فلمعري ما اخذته بحق اذا
استعملت فيه رذيلة العجب واذا لم تعدل فيه فاستحي من
حالك فهي حالة رذالة لا حالة يجب العجب فيها . وان اعجبت
بمالك فهذه اسوء مراتب العجب فانظر في كل ساقط خسيس
فهو اغني منك فلا تفتبط بحالة يفوقك فيها من ذكرت
(واعلم) ان عجبك بالمال حق لانه احجار لا تنتفع بها الا ان
تخرجها عن ملكك بنفقتها في وجهها فقط والمال ايضا غاد ورائح
وربما زال عنك ورأيت بعينه في يد غيرك ولعل ذلك يكون
عدوا . فالعجب بمثل هذا سخف والثقة به غرور وضعف .
وان اعجبت بحسنك ففكر فيما يولد عليك مما نستحي نحن من
اياته وتستحي انت منه اذا ذهب عنك بدخولك في السن

وفيما ذكرنا كفاية . وان اعجبت بمدح اخوانك ففكر في
ذم اعدائك اياك فحينئذ ينجلي عنك العجب . فان لم يكن لك
عدو فلا خير فيك ولا منزلة اسقط من منزلة من لا عدوله
فليست الا منزلة من ليس لله تعالى عنده نعمة يحسد عليها
عافانا الله . فان استحققت عيوبك ففكر فيها ولو ظهرت الى
الناظر وتمثل اطلاعهم عليها فحينئذ تخجل وتعرف قدر نقصك
ان كانت لك مسكة من تمييز (واعلم) بانك ان تعلمت كيفية
تركيب الطبائع وتولد الاخلاق من امتزاج عناصرها المحمولة
في النفس فستقف من ذلك وقوف يقين على ان فضائلك
لا خصلة لك فيها وانها منح من الله تعالى لو منحها غيرك لكان
مثلك وانك لو وكلت الى نفسك لعجزت وهلكت فاجعل
بدل عجبك بها شكرا لواهبك اياها واشفاقا من زوالها فقد
تغير الاخلاق الحميدة بالمرض وبالفقر وبالخوف وبالغضب
وبالهرم . وارحم من منع مامنحت ولا تعرض لزوال مابك
من النعم بالتعاصي على واهبها تعالى وبان تجعل لنفسك فيما
وهبك خصلة أَوْحَقاً فتقدر انك استغنيت عن عصمته فتهلك
عاجلا وآجلا . ولقد اصابني علة شديدة ولدت على ربوا في

الطحال شديداً فولد ذلك على من الضجر وضيق الخلق وقلة
 الصبر والنزق اصرا جاشت نفسي فيه اذ انكرت تبدل خلق
 واشتد عجبى من مفارقتى لطبى وصح عندي أن الطحال
 . موضع الفرح اذا فسد تولد ضده . وان اعجبت بنسبك فهذه
 اسوء من كل ما ذكرنا لان هذا الذي اعجبت به لا فائدة له اصلا
 في دنيا ولا آخرة وانظر هل يدفع عنك جوعة أو يستر لك
 عورة أو ينفعك في آخرتك ثم انظر الى من يساهمك في نسبك
 وربما فيما هو أعلى منه ممن نالته ولادة الاتبياء عليهم السلام
 ثم ولادة الفضلاء من الصحابة والعلماء ثم ولادة ملوك العجم
 من الاكاسرة والقيصرة ثم ولادة التبابعة وسائر ملوك
 الاسلام فتأمل غيبتهم وبقاياهم ومن يدلى بمثل ما تدلى به من
 ذلك تجد اكثرهم امثال الكلاب خساسة وتلقهم في غاية
 السقوط والارذالة والتبدل والتحلي بالصفات المذمومة ولا تغتبط
 بمنزلة هم فيها نظراؤك أو فوقك . ثم لعل الآباء الذين تفخر بهم
 كانوا فساقا وشربة خمر ولا طعة ومغنين ونوكتي أطلقت الايام
 ايديهم بالظلم والجور فانتجوا ظلما وآثارا قبيحة تبقى عارهم بذلك
 الايام ويعظم اثمهم والندم عليها يوم الحساب . فان كان كذلك فاعلم

أن الذي أعجبت به من ذلك داخل في العيب والخزي والعار
 والشنار لا في الاعجاب . فان أعجبت بولادة الفضلاء اياك فما
 أخلا يدك من فضلهم ان لم تكن أنت فاضلاً وما أقل غناهم
 عنك في الدنيا والآخرة ان لم تكن محسناً . والناس كلهم
 أولاد آدم الذي خلقه الله بيده وأسكنه جنته واسجد له
 ملائكته ولكن ما أقل نفعه لهم وفيهم كل عيب وكل فاسق
 وكل كافر واذا فكر العاقل في ان فضل أبائه لا يقربه من ربه
 تعالى ولا يكسبه وجاهة لم يحزها هو بسعدته أو بفضله في
 نفسه ولا ماله فأى معنى للاعجاب بما لا منفعة فيه وهل
 المعجب بذلك الا كالمعجب بمال جاره وبجاه غيره وبفرس لغيره
 سبق كان على رأسه لجامه كما تقول الملة في أمثالها : كالغبي
 يزهي بذكاء أبيه . فان تعدى بك العجب الى الامتداح فقد
 تضاعف سقوطك لانه قد عجز عقلك عن مفارقة ما نيك من
 العجب هذا ان امتدحت بحق فكيف ان امتدحت بالكذب
 وقد كان ابن نوح وأبو ابراهيم وأبو لوط عم النبي صلى الله
 عليه وسلم أقرب الناس من أفضل خلق الله تعالى وممن الشرف
 كله في اتباعهم فما انتفعوا بذلك . وقد كان في من ولد لغير

ورشدة (١) من كان الغاية في رياسة الدنيا كزياد و أبي مسلم ومن
 كان نهاية في الفضل على الحقيقة كبعض من نجله عن ذكره في
 مثل هذا الفضل ممن يتقرب الى الله تعالى بحبه والاقتداء
 بحميد آثاره . وان أعجبت بقوة جسمك فتفكر في ان البغل
 والحمار والثور أقوى منك وأحمل للأثقال . وان أعجبت
 بخفتك فاعلم ان الكلب والارنب يفوقانك في هذا الباب فمن
 العجب العجيب اعجاب ناطق بخصلة يفوقه فيها غير الناطق
 (واعلم) أن من قدر في نفسه عجباً أو ظن له على سائر الناس
 فضلاً فلينظر الى صبره عند ما يدهمه من هم أو نكبة أو وجع
 أو دمل أو مصيبة فان رأى نفسه قليلة الصبر فليعلم ان جميع
 أهل البلاء من المحزمين وغيرهم الصابرين أفضل منه على
 تأخر طبقتهم في التميز وان رأى نفسه صابرة فليعلم انه لم يأت
 بشيء يسبق فيه على ما ذكرنا بل هو إما متأخر عنهم في ذلك
 أو مساو لهم ولا مزيد . ثم لينظر الى سيرته وعدله أو جورهِ

(١) قال في اللسان وهو لرشدة وقد يفتح وهو تقيد زنية وفي
 الحديث من ادعى ولداً لغير رشدة فلا يرث ولا يورث: يقال هذا ولد
 رشدة اذا كان للمكاح صحيح كما يقال في ضده ولد زنية بالكسر فهما
 ويقال بالفتح وهو افصح اللغتين

فيما خوله الله من نعمة أو مالٍ أو خولٍ أو اتباعٍ أو صحة أو جاه
 فان وجد نفسه مقصرة فيما يلزمه من الشكر لواهبه تعالى
 ووجدها حائفة في العدل فليعلم ان أهل العدل والشكر والسيره
 الحسنة من المخولين أكثر مما هو فيه أفضل منه . فان رأى
 نفسه ملتزمة للعدل فالعادل بعيد عن العجب البتة لعلمه
 بموازن الاشياء ومقادير الاخلاق والتزامه التوسط الذي
 هو الاعتدال من الطرفين المذمومين . فان أعجب فلم يعدل
 بل قد مال الى جنبه (١) الافراط المذمومة (واعلم) ان التعسف
 وسوء الملكة لمن خولك الله تعالى أمره من رقيق أو رعية
 يدلان على خساسة النفس ودناءة الهمة وضعف العقل لان
 العاقل الرفيع النفس العالي الهمة انما يغلب اكفائه في القوة
 ونظرائه في المنعة . واما الاستطالة على من لا يمكنه المعارضة
 فسقوط في الطبع ورذالة في الخلق وعجز ومهانة ومن فعل
 ذلك فهو بمنزلة من يتجبح بقتل جرد (٢) أو بقتل برغوث أو
 بفرك قملة وحسبك بهذا ضعة وخساسة (واعلم) ان رياضة
 الأنفس أصعب من رياضة الأسد لان الأسد اذا سجن

(١) اي الى ناحيته وجانبه (٢) الجرذ كجرذ ضرب من القار

في البيوت التي يتخذ لها الملوك أمن شرها . والنفس وان سجنـت
لم يؤمن شرها . (المعجب) أصل يتفرع عنه التيه والزهو
والكبر والنخوة والتعالى وهذه أسماء واقعة على معان متقاربة
ولذلك صعب الفرق بينها على أكثر الناس . فقد يكون المعجب
لفضيلة في المعجب ظاهرة . فمن معجب بعمله فيكفهر
ويتعلق على الناس . ومن معجب بعلمه فيترفع ويتعالى .
ومن معجب برأيه فيزهو (١) على غيره . ومن معجب بنفسه
فيتيه . ومن معجب بجأه وعلو حاله فيتكبر وينتحي . وأقل
مراتب العجب ان تراه يتوقر عن الضحك في مواضع وعن
خفة الحركات وعن الكلام الا فيما لا بدله منه من امور دنياه
وعيب هذا اقل من عيب غيره . ولو فعل هذه الأفاعيل على
سبيل الاقتصار على الواجبات وترك الفضول لكان ذلك
فضلا وموجباً للحمد والكن انما يفعلون ذلك احتقارا للناس
واعجابا بانفسهم فحصل لهم بذلك استحقاق الذم . وانما الاعمال
بالنيات واسكل امرئ ما نوى . حتي اذا اراد الامر ولم يكن

(١) هذا الفعل لم تتكلم به العرب الا مجهولا إلا ما حكى عن ابن

هناك تمييز يحجب عن توفية العجب حقه ولا عقل جيد . حدث
من ذلك ظهور الاستخفاف بالناس واحتقارهم بالكلام وفي
المعاملة حتى اذا اراد ذلك وضعف التمييز والعقل ترقى ذلك الى
الاستطالة على الناس بالايدي واللسان والتحكم والظلم والظفیان
واقضاء الطاعة لنفسه والخضوع لها ان امكنه ذلك . فان لم يقدر
على ذلك امتدح بلسانه واقتصر على ذم الناس والاستهزاء
بهم . وقد يكون العجب اغير . معني واغیر فضيلة في المعجب
وهذا من عجيب ما يقع في هذا الباب وهو شيء يسميه
عامتنا التَّمَتُّرُكُ وكثيرا ما نراه في النساء وفيمن عقله قريب
من عقولهن من الرجال . وهو عَجَبٌ من ايس فيه خصلة
أصلا لا علم ولا شجاعة ولا علو حال ولا نسب رفيع ولا مال
يطغيه وهو يعلم مع ذلك انه صفر من ذلك كله لان هذه الامور
لا يغلط فيها من يقذف بالحجارة وانما يغلط فيها من له أدنى
حظ منها فربما يتوهم ان كان ضعيف العقل انه قد بلغ الغاية
القصوى منها . كمن له حظ من علم فهو يظن انه عالم كامل .
وكمن له نسب مفرق في ظلمة وتجدهم لم يكونوا أيضا رفعا في
ظلمهم فتجده لو كان ابن فرعون ذي الاوتاد ما زاد على اعجابه

الذي فيه . أوله شيء من فروسية فهو يقدر انه يهزم علياً ويأسر
الزير ويقتل خالداً . أوله شيء من جاه رذل فهو لا يرى
الاسكندر على حال . أو يكون قويا على ان يكسب ما يتوفر
بيده مؤملا يفضل (١) عن قوته فلو أخذ بقرني الشمس لم يزد
على ما هو فيه وليس يكثر العجب من هؤلاء وان كانوا عجبا
لكن ممن لاحظ له من علم أصلا ولا نسب البتة ولا مال
ولا جاه ولا نجدة بل تراه في كفالة غيره مهتضا لكل من
له أدنى طاقة وهو يعلم انه خال من كل ذلك وانه لاحظ له
في شيء من ذلك ثم هو مع ذلك في حالة المزهو التباه . ولقد
تسببت الى سؤال بعضهم في رفق ولين عن سبب علو نفسه
واحتقاره الناس . فما وجدت عنده مزيدا على ان قال لي أنا
حر لست عبدا احد . فقلت له اكثر من تراه يشاركك في هذه
الفضيلة فهم احرار مثلك الا قوما من العبيد هم أطول منك
يدا وأمرهم نافذ عليك وعلى كثير من الاحرار فلم أجد عنده
زيادة فرجعت الى تفتيش أحوالهم ومراعاتها فافكرت في

(١) كذا الأصل ولعل الصواب مؤملا ان الفضل حدث عن

ذلك سنين لا علم السبب الباعث لهم على هذا العجب الذي
 لا سبب لهم فلم أزل أختبر ما تنطوي عليه نفوسهم بما يبدو من
 أحوالهم ومن مرامهم في كلامهم فاستقر أمرهم على أنهم
 يقدرون أن عندهم فضل عقل وتميز رأي أصيل لو أمكنتهم
 الأيام من تصريفه لوجدوا فيه متسعاً ولا داروا بالممالك الرفيعة
 ولبان فضاهم على سائر الناس ولو ملأوا مالا لا حسنوا تصريفه
 فمن هنا تسرب التيه اليهم وسرى العجب فيهم وهذا مكان
 فيه للكلام ، شغب عجيب ومعارضة معترضة وهو انه ليس شيء
 من الفضائل كان المرء منه أغرى قوى ظنه في انه استولى عليه
 واستمر يقينه في انه قد كمل فيه الا العقل والتميز حتى انك تجد
 المجنون المطبق والسكران الطافح يسخران بالصحيح . والجاهل
 الناقص يهزاء بالحكماء وأفاضل العلماء . والصبيان الصغار يتكلمون
 بالكحول والسفهاء العياريين يستخفون بالعقلاء المتصاوين . وضعفة
 النساء يستنقصن عقول اكابر الرجال وآراءهم وبالجملة فكلام ناقص
 العقل توهم صاحبه انه أوفر الناس عقلاً وأكمل تمييزاً ولا
 يعرض هذا في سائر الفضائل فان العاري منها جملة يدري انه
 عار منها وانما يدخل الغلط على من له أدنى حظ منها وان قل

فانه يتوهم حينئذ إن كان ضعيف التمييز انه على الدرجة فيه
ودواء من ذكرنا الفقر والخبول ولا دواء لهم أنجمع منه والا
فداؤهم وضررهم على الناس عظيم جدا فلا تجدهم الا عيابين
للناس ووقاعين في الاعراض مستهزئين بالجميع مجانبين
للحقائق مكبين على الفضول وربما كانوا مع ذلك متعرضين
للمشاة والمبارشة وربما قصدوا الملاطمة والمضاربة عند
أدنى سبب يعرض لهم . وقد يكون العجب كينا في
المرء حتى اذا حصل على ادنى مال اوجاه ظهر ذلك عليه
وعجز عقله عن قمعه وستره . ومن ظريف ما رأيت في بعض
اهل الضعف ان منهم من يغلبه ما يضر من محبة ولده الصغير
وامراته حتى يصفها بالعقل في المحافل وحتى انه يقول هي
اعقل مني وانا اترك بوصيتها . واما مدحه اياها بالجمال
والحسن والعاية فكثير في اهل الضعف جدا حتى كانه لو كان
خاطبها مازاد على ما يقول في ترغيب السامع في وصفها ولا
يكون هذا الا في ضعيف العقل عار من العجب بنفسه (العاقل)
من لا يفارق ما اوجبه تمييزه من بديع ما يقع في الحسد قول الحاسد
اذا سمع انسانا يغرب في علم ما هذا شيء بارد اذ لم يتقدم اليه

ولا قاله قبله أحد فان سمع من بين ما قد قاله غيره قال هذا
بارد وقد قيل قبله . وهذه طائفة سوء قد نصبت أنفسها
للقعود على طريق العلم يصدون الناس عنها المتكثرون نظراؤهم من
الجهال . ان الحكيم لا تنفعه حكمته عند الخبيث الطبع بل
يظنه خبيثاً . مثله وقد شاهدت أقواماً ذوي طبائع ردية وقد
تصور في أنفسهم الخبيثة ان الناس كلهم على مثل طبائعهم
لا يصدقون أصلاً بان أحدا هو سالم من ردائلهم بوجه من
الوجوه وهذا أسوء ما يكون من فساد الطبع والبعد عن
الفضل والخير ومن كانت هذه صفته لا ترجاله معاناة أبداً
وبالله تعالي التوفيق (العدل) حزن يلجأ اليه كل خائف
وذلك انك ترى الظالم وغير الظالم اذا رأى من يريد ظلمه دعا
الى العدل وأنكر الظلم حينئذ وذمه ولا يرى أحدا يذم من
العدل فن كان العدل في طبعه فهو ساكن في ذلك الحصن
الحصين (الاستهانة) نوع من أنواع الخيانة اذ قد يخونك من
لا يستهين بك ومن استهان بك فقد خانك الانصاف . فكل
مستهين خائن . وليس كل خائن مستهيناً . الاستهانة بالمتاع
دليل برز المتاع . حالان يحسن فيهما ما يقبح في غيرها وهما

المعاتبة والاعتذار فانه يحسن تعديد الأيادي وذكر الاحسان
 وذلك غاية القبح في ماعداهاتين الحاليتين . لا عيب على من مال
 بطبعه الى بعض القبائح ولو انه أشد الميوب وأعظم الرذائل ما لم يظهره
 بقول أو فعل بل يكاد يكون أحمد من أعانه طبعه على الفضائل
 ولا تكون مغالبة الطبع الفاسد الا عن قوة عقل فاضل (الخيانة)
 في الحرم اشد من الخيانة في الدماء . العرض اعز على الكريم
 من المال . ينبغي للكريم ان يصون جسمه بماله ويصون نفسه
 بجسمه ويصون عرضه بنفسه ويصون دينه بعرضه ولا يصون
 بدينه شيئاً اصلاً . الخيانة في الاعراض اشد من الخيانة في
 الاموال . وبرهان ذلك انه لا يكاد يوجد من لا يخون في
 العرض وان قل ذلك منه وكان من أهل الفضل . وأما
 الخيانة في الأموال وان قلت أو كثرت فلا تكون الا من
 رذل بعيد عن الفضل . القياس في أحوال الناس قد يكذب
 في أكثر الأمور ويبطل في الأغلب واستعمال ما هذه صفته
 في الدين لا يجوز . المقلد راض ان يغبن عقله ولعله مع ذلك
 يستعظم ان يغبن في ماله فيخطئ في الوجهين معاً . لانه لا يكره
 الغبن في ماله ويستعظمه الا لئيم الطبع دقيق المهمة مهين
 (ه مداواة النفوس)

النفس . من جهل معرفة الفضائل فليعتمد على ما أمره الله
 ورسوله صلى الله عليه وسلم فانه يحتوي على جميع الفضائل
 (رب) مخوف كان التحرز منه سبب وقوعه . رب سر كانت
 المبالغة في طيه سبب انتشاره . ورب إغراض أبلغ في الاسترابة
 من ادامة النظر . وأصل ذلك كاه الافراط الخارج عن حد
 الاعتدال (الفضيلة) وسيطة بين الافراط والتفريط فكلما
 الطرفين مذموم والفضيلة بينهما حاشى العقل فانه لافراط فيه
 الخطأ في الحزم خير من الخطأ في التضييع . من العجائب ان
 الفضائل مستحسنة ومستثقلة والذائل مستقبحة ومستخفة
 من أراد الانصاف فليتوهم نفسه مكان خصمه فانه يلوح له
 وجه تمسفه . حد الحزم معرفة الصديق من العدو . وغاية الخرق
 والضعف جهل العدو من الصديق . لا تسلم عدوك لظلم ولا
 تظلمه وساو في ذلك بينه وبين الصديق وتحفظ منه واياك
 وتقريبه واعلاء قدره فان هذا من فعل النوكي . من ساوى
 بين عدوه وصديقه في التقريب والرفعة فلم يزد على ان زهد
 الناس في مودته وسهل عليهم عداوته ولم يزد على استخفاف
 عدوه له وتمكنه من مقاتله وافساد صديقه على نفسه والحاقه

بمجملته أعدائه (غاية الخير) ان يسلم عدوك من ظلمك ومن
 تركك اياه للظلم وأما تقريبه فمن شيم النوكي الذين قرب منهم
 التلف . وغاية الشر ان يسلم صديقك من ظلمك وأما ابعاده
 فمن فعل من لا عقل له ومن كتب عليه الشقاء . ليس الحلم
 تقريب الاعداء ولكنه مسالمتهم مع التحفظ منهم . (قلما) رأيت
 أمرا أمكن فضيع إلا وفات فلم يمكن بعد . نحن الانسان في
 دهره كثيرة واعظهما محنته باهل نوعه من الانس . داء
 الانسان بالناس أعظم من دائه بالسباع الكلبة والافاعي
 الضارية لان التحفظ من كل ما ذكرنا ممكن ولا يمكن التحفظ
 من الانس أصلا (الغالب) على الناس : النفاق ومن العجب
 انه لا يجوز مع ذلك عندهم الا من نافقهم . لو قال قائل في
 الطبائع مزية لان أطراف الأضداد تلتقي لم يبعد من الصدق
 وقد نجد نتائج الاضداد تتساوى فنجد المرء يبكي من الفرح
 ومن الحزن . ونجد فرط المودة يلتقي مع فرط البغضة في تتبع
 العثرات . وقد يكون ذلك سببا للقطيعة عند عدم الصبر والانصاف
 كل من غلبت عليه طبيعة ما فانه وان بلغ الغاية من الحزم
 والحذر فانه مصروع اذا كويد من قبلها . كثرة المراتب تعلم

صاحبها الكذب لكثرة ضرورته الى الاعتذار بالكذب
 فيضري عليه ويستسهله . أعدل الشهود على المطبوع على
 الصدق . وجهة لظهور الاسترابة عليه ان وقع في كذبة أوهم
 بها . وأعدل الشهود على الكذاب . لسانه لا يضطربه ونقض
 بعض كلامه بعضا . المصيبة في الصديق الناكث أعظم من
 المصيبة به (أشد الناس) استهالا للعيوب بلسانه هو أشدهم
 استهالا لها بفعله وتبين ذلك في مشافهات أهل البذاء
 ومشاتات الارذال البالغين غاية الرذالة من الصناعات الخسيسة
 من الرجال والنساء كاهل التعيش بالزمر وكنس الحشوش
 والخدامين في المجازر وكساكني دور الحمل المباحة لكراء
 الجماعات والساسة للدواب . فان كل من ذكرنا أشد الخلق
 رميا من بعضهم لبعض القبائح وأكثرهم عيبا بالفضائح وهم
 أوغل الناس فيها وأشهرهم بها (اللقاء) يذهب السخائم فكان
 نظر العين للعين يصلح القلوب . فلا يسؤك التقاء صديقك
 ببعذك فان ذلك يفتر أمره عنده (أشد الاشياء) على الناس
 الخوف والهلم والمرض والفقر . وأشدها كلها ايلاما للنفس
 الهلم للفقد من المحبوب . وتوقع المكروه . ثم الخوف . ثم الفقر .

ودليل ذلك ان الفقر يستعجل ليطرد به الخوف فيبذل المرء
 ماله كله ليأمن . والخوف والفقر يستعجلان ليطرد بهما المرض
 فيغفر الانسان في طلب الصحة ويبذل ماله فيها اذا أشفق
 من الموت ويعود عند تيقنه به لو بذل ماله كله ويسلم ويفيق
 والخوف يستسهل ليطرد به الهم فيغفر المرء بنفسه ليطرد الهم
 وأشد الناس كلها ألماً وجعاً ملازم في عضوماً بعينه . وأما
 النفوس الكريمة فالذل عندها أشد من كل ماذ كرنا وهو أسهل
 المخوفات عند ذوي النفوس اللئيمة

فصل

من غرائب أخلاق النفس ينبغي للماقل ان لا يحكم بما
 يبدو له من استرحام الباكي المتظلم وتشكيه وشدة تلويه وتقلبه
 فقد وقفت من بعض من يفعل هذا على يقين انه الظالم المتعدي
 المفرط الظلم ورأيت بعض المظلومين ساكن الكلام معدوم
 التشكي مظهرًا لقلّة المبالاة فيسبق الى نفس من لا يحقق النظر
 أنه ظالم وهذا مكان ينبغي التثبت فيه ومغالبة ميل النفس جملة
 وان لا يميل المرء مع الصفة التي ذكرنا ولا عليها ولكن يقصد
 الانصاف بما يوجبه الحق على السواء (من عجائب الاخلاق

ان الغفلة مذمومة وان استعمالها محمود وانما ذلك لان من هو
مطبوع على الغفلة يستعملها في غير موضعها وفي حيث يجب
التحفظ وهي مغيب عن فهم الحقيقة فدخلت تحت الجهل
فدُمّت لذلك . وأما المتيقظ الطبع فانه لا يضع الغفلة الا في
موضعها الذي يذم فيه البحث والتقصي ويمدح التغافل فهما
للحقيقة واضرابا عن الطيش واستعمالا للحلم وتسكيناً للمكروه
فلذلك حمدت حالة التغافل وذمت الغفلة . وكذلك القول في
اظهار الجزع وابطانه وفي اظهار الصبر وابطانه فان اظهار الجزع
عند حلول المصائب مذموم لانه عجز مظهره عن ملك نفسه
فاظهر أمراً لا فائدة فيه بل هو مذموم في الشريعة وقاطع عما
يلزم من الاعمال وعن التأهب لما يتوقع حلوله مما لعله أشنع
من الامر الواقع الذي عنه حدث الجزع . فلما كان اظهار
الجزع مذموماً كان اظهار ضده محموداً وهو اظهار الصبر لانه
ملك للنفس واطراح لما لا فائدة فيه واقبال على ما يعود وينتفع
به في الحال وفي المستأنف وأما استبطان الصبر فمذموم لانه
ضعف في الحسن وقسوة في النفس وقلة رحمة . وهذه أخلاق
سوء لا تكون الا في أهل الشر وخبت الطبيعة وفي النفوس

السبعية الردية . فلما كان ما ذكرنا يقبح كان ضده محمودا
وهو استبطان الجزع لما في ذلك من الرحمة والرفقة والفهم
لقدر الرزية فصح بهذا ان الاعتدال هو : ان يكون المرء
جزوع النفس صبور الجسد بمعنى انه لا يظهر في وجهه ولا في
جوارحه شيء من دلائل الجزع وبالله التوفيق . لو علم ذو الرأي
الفاسد ما استضر به من فساد تدبيره في السالف لا نجح بتركه
استعماله فيما يستأنف

✽ فصل في مطلع النفس الى ما يستر عنها من كلام مسموع
أو شيء يدنى الى المدح وبقاء الذكر ✽
هذان أمران لا يكاد يسلم منهما أحد الا ساقط الهمة
جدا أو من راض نفسه الرياضة التامة وقمع قوة نفسه الفضية
قما كاملا أو عانى مداواة شره النفس الى سماع كلام يستر به عنها
أورؤية شيء اكتم به دون ان يفكر فيما غاب عنها من هذا
النوع في غير موضعه الذي هو فيه بل في أقطار الارض المتباينة
فان اهتم بكل ذلك فهو مجنون تام الجنون عديم عقل البتة .
وإن لم يهتم لذلك فهل هذا الذي اختفى به عنه الا كسائر
ما غاب عنه منه سواء ولا فرق . ثم ليزد احتجاجا على هواه

فليقل بلسان عقله لنفسه يأتى أن لم تعلمي أن ههنا
 شيئاً أخفى عليك أكنت تطلعين إلى معرفة ذلك فلا بد من لا
 فليقل لنفسه فكوني الآن كما كنت تكونين لو لم تعلمي
 بأن ههنا شيئاً ستر عنك فتريحي الراحة وتطردى الهم وألم القلق
 وقبح صفة الشره وتلك غنائم كثيرة وأرباح جارية وأعراض
 فاضلة سنية يرغب العاقل فيها ولا يزهد فيها إلا تام النقص .
 وأما من علق وهمه وفكره بأن يبعد اسمه في البلاد ويبقى
 ذكره على الدهر فليتفكر في نفسه وليقل لها يأتى أن لو
 ذكرت بأفضل الذكر في جميع اقطار المعمور أبد الأبد إلى
 انقضاء الدهر ثم لم تبلغى ذلك ولا عرفت به أن كان في ذلك
 سرور أو غبطة أم لا ولا بد من لا ولا سبيل إلى غيرها البتة
 فإذا صح ذلك وتيقن فليقل يقينا أنه إذا مات ولا سبيل له إلى
 علم أنه يذكر أو أنه لا يذكر وكذلك وإن كان حياً إذا لم يبلغه
 ثم ليتشكر أيضاً في معنيين عظيمين (أحدهما) كثرة من
 خلا من الفضلاء من الأنبياء والرسل صلى الله عليهم وسلم
 أولاً الذين لم يبق على أديم الأرض لهم عند أحد من الناس
 اسم ولا رسم ولا خبر ولا أثر بوجه من الوجوه . ثم من

الفضلاء الصالحين من أصحاب الانبياء السالفين ومن الفلاسفة
 والعلماء والاخيار وملوك الأمم الدائرة وبناة المدن الخالصة
 واتباع الملوك أيضاً الذين قد انقطعت أخبارهم ولم يبق لهم عند
 احد علم ولا لاحد بهم معرفة أصلاً البتة . فهل ضر من كان
 فاضلاً منهم ذلك أو نقص من فضائلهم أو طمس من محاسنهم
 أو حط درجتهم عند بارئهم عز وجل . ومن جهل هذا
 الامر فليعلم انه ليس في شيء من الدنيا خبر عن ملوك من
 ملوك الاجيال السالفة أبعد مما بأيدي الناس من تاريخ ملوك
 بني اسرائيل فقط . ثم ما بأيدينا من تاريخ ملوك اليونان والفرس
 وكل ذلك لا يتجاوز ألفي عام فاين ذكر من عمر الدنيا قبل هؤلاء
 أليس قد دثر وفنى وانقطع ونسى البتة ؟ وكذلك قال الله تعالى
 ورسلا لم نقصصهم عليك . وقال تعالى وقرونا بين ذلك كثيراً
 وقال تعالى والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله فهل الانسان
 وان ذكر برهة من الدهر الا كمن خلا قبل من الامم الغابرة
 الذين ذكروا ثم نسوا جملة . ثم ليتفكر الانسان في من ذكر
 بخير أو بشر هل يزيد ذلك عند الله عز وجل درجة أو
 يكسبه فضيلة لم يكن حازها بفعله أيام حياته فاذا كان هذا

كما قلناه فالرغبة في الذكر رغبة غرور ولا معنى له ولا فائدة فيه أصلاً لكن إنما ينبغي أن يرغب الإنسان في الاستكثار من الفضائل وأعمال البر التي يستحق من هي فيه الذكر الجميل والثناء الحسن والمدح وحميد الصفة فهي التي تقرب به من بارئه تعالى وتجعله مذكوراً عنده عز وجل الذكر الذي ينفعه ويحصل على بقاء فائدته ولا يبدأ بالأبد وبالله تعالى التوفيق (شكر المنعم فرض واجب) وإنما ذلك بالمقارضة له بمثل ما أحسن فأكثر ثم بالتهم بأموره بحسن الدفاع عنه . ثم بالوفاء له حياً وميتاً ولمن يتصل به من ساقه وأهل كذلك . ثم بالتماذي على وده ونصيحته ونشر محاسنه بالصدق وطى مساويه مادمت حياً وتورث ذلك عقبك وأهل ودك . وليس من الشكر عونته على الآثام وترك نصيحته فيما يتوقع به دينه ودنياه بل من عاون من أحسن إليه على باطل فقد غشه وكفر احسانه وظلمه وجحد انعامه وأيضاً فإن احسان الله تعالى وانعامه على كل حال أعظم وأقدم واهناً من نعمة كل منعم دونه عز وجل فهو تعالى الذي شق لنا الابصار الناظرة وفتق فينا الآذان السامعة ومنحنا الجواس الفاضلة ورزقنا النطق والتمييز .

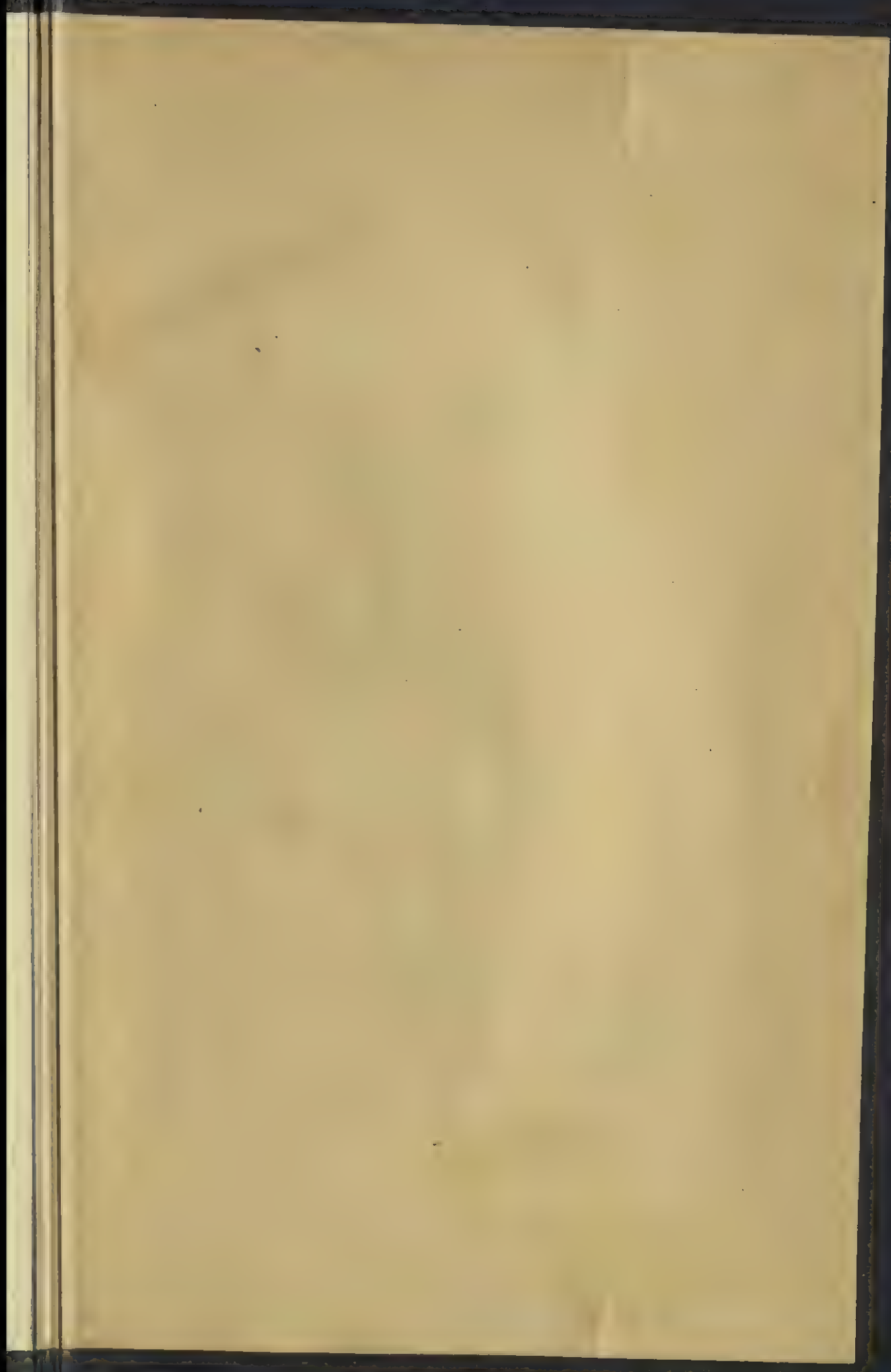
للذين بهما استأهلنا ان يخاطبنا وسخر لنا مافي السموات وما
 في الارض من الكواكب والعناصر ثم تفضل علينا من خلقه
 شيئاً غير الملائكة المقدسين الذين هم عمار السموات فقط
 فأين تقع نعم المنعمين من هذه النعم . فمن قدر أن يشكر محسنا
 اليه بمساعدته على باطل وبمحاباته فيما لايجوز فقد كفر نعمة
 أعظم المنعمين وجحد احسان أجل المحسنين اليه ولم يشكروني
 الشكر حقاً ولا حمد أهل الحمد اصلاً وهو الله عز وجل . ومن
 حال بين المحسن اليه وبين الباطل واقامه على مرتا الحق فقد
 شكره حقاً وادي واجب حقه عايه مستوفي ولله الحمد أولاً
 وآخراً على كل حال (في حضور مجالس العلم) اذا حضرت
 مجلس العلم فلا يكن حضورك الا حضور مستزيد علماً وأجراً
 لا حضور مستغن بما عندك طالباً عثرة تشنعها أو غريبة تشيعها
 فهذه أفعال الأذال الذين لا يفلحون في العلم أبداً . فاذا
 حضرتها على هذه النية فقد حصلت خيراً على كل حال . وان
 لم تحضر على هذه النية فخلوسك في منزلك أروج لبدنك
 واكرم خلقتك واسلم لدينك . فاذا حضرتها كما ذكرنا فالتمز
 أحد ثلاثة أوجه لارابع لها وهي : اما ان تسكت سكوت

الجهال فتحصل على أجر النية في المشاهدة وعلى الشناء عليك
بقلة الفضول وعلى كرم المجالسة ومودة من تجالس . فان لم
تفعل ذلك فاسئل سؤال المتعلم فتحصل على هذه الاربع محاسن
وعلى خامسة وهي استزادة العلم . وصفة سؤال المتعلم ان تسئل عما
لا تدري فان السؤال عما تدري سخف وقلة عقل وشغل
لكلامك وقطع لزمانك بما لا فائدة فيه لا لك ولا لغيرك
وربما أدى الى اكتساب العداوات وهو بعد عين الفضول .
واياك من أن تراجع مراجعة العالم . وصفة ذلك : ان تعارض
جوابه بما ينقضه نقضا بيّنا . فان لم يكن ذلك عندك ولم يكن
عندك الا تكرار قولك أو المعارضة بما لا يراه خصمك معارضة
فأمسك . فانك لا تحصل بتكرار ذلك على أجر زائد ولا على
تعليم ولا تعلم بل على الغيظ لك وخصمك والعداوة التي ربما
أدت الى المضرات . وحسبنا الله ونعم الوكيل . واذا ورد
عليك خطاب بلسان أو هجمت على كلام في كتاب فإياك ان
تقابله بمقابلة المغاضبة الباعثة على المبالغة قبل ان تبين بطلانه
ببرهان قاطع . وأيضا فلا تقبل عليه اقبال المصدق به المستحسن
إياه قبل علمك فتظلم في كلا الوجهين جميعا وليكن اقبال من

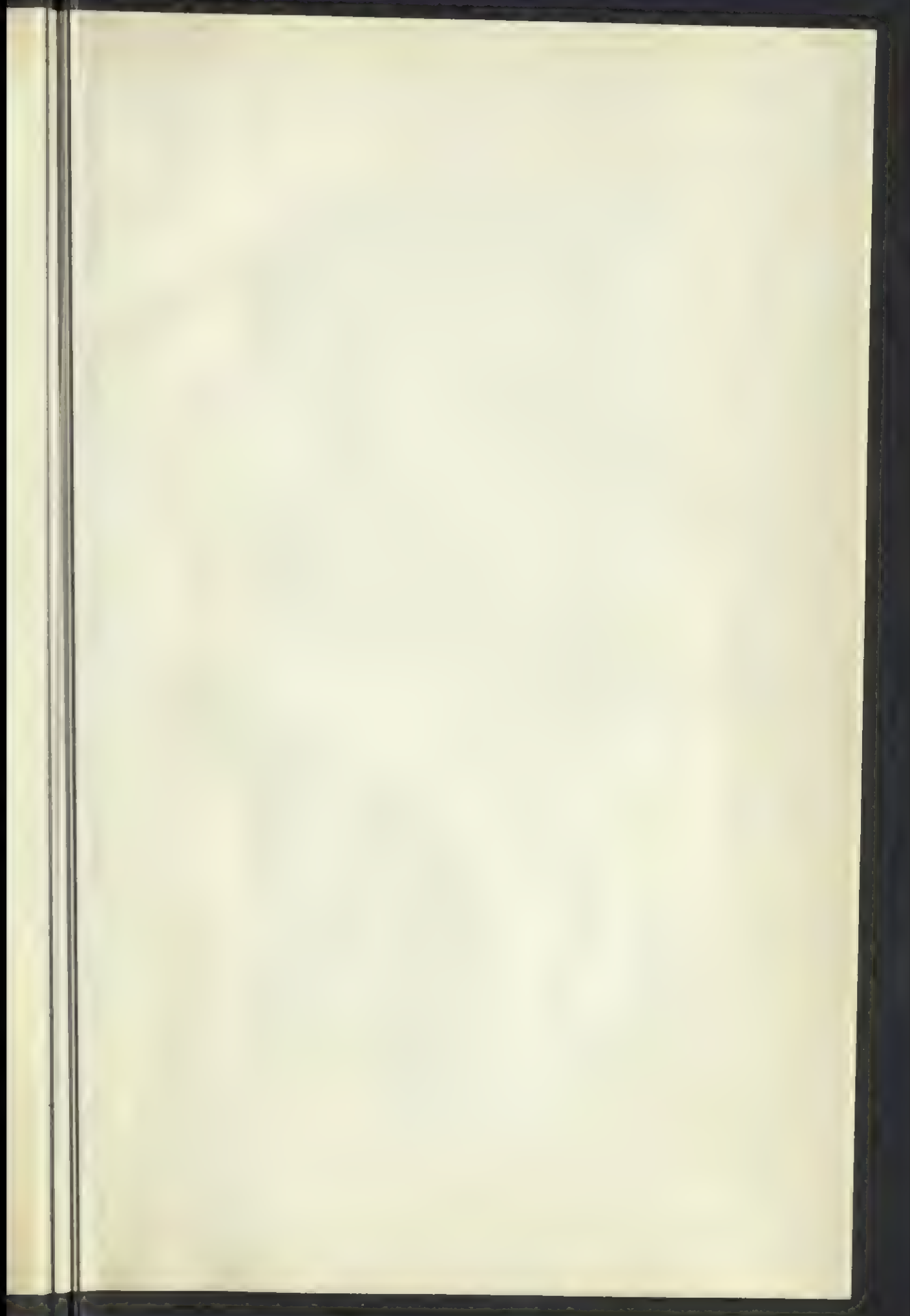
من يريد حظ نفسه في فهم ماسمع ورأى فالتزيد به علما وقبوله
 ان كان حسنا . أوردته ان كان خطأ فمضمون لك ان فعلت ذلك
 الاجر الجزيل والحمد الكثير والفضل العميم (فرض) على
 الناس تعلم الخير والعمل به فمن جمع الامرين استوفي الفضلين
 . معا ومن علمه ولم يعمل به فقد أحسن في التعليم وأساء في ترك
 العمل به فخلط عملا صالحا وآخر سيئا وهو خير من آخر لم
 يعلمه ولم يعمل به . وهذا الذي لا خير فيه أمثل حالا واقل ذما من
 آخر ينهى عن تعلم الخير ويصد عنه . ولولم ينه عن الشر الا
 من ليس فيه منه شيء ولا أمر بالخير الا من استوعبه لما نهى
 أحد عن شر ولا أمر بخير بعد النبي صلى الله عليه وسلم .
 وحسبك بمن أدى رأيه الى هذا فسادا وسوء طبع ودم حال
 وبالله تعالى التوفيق

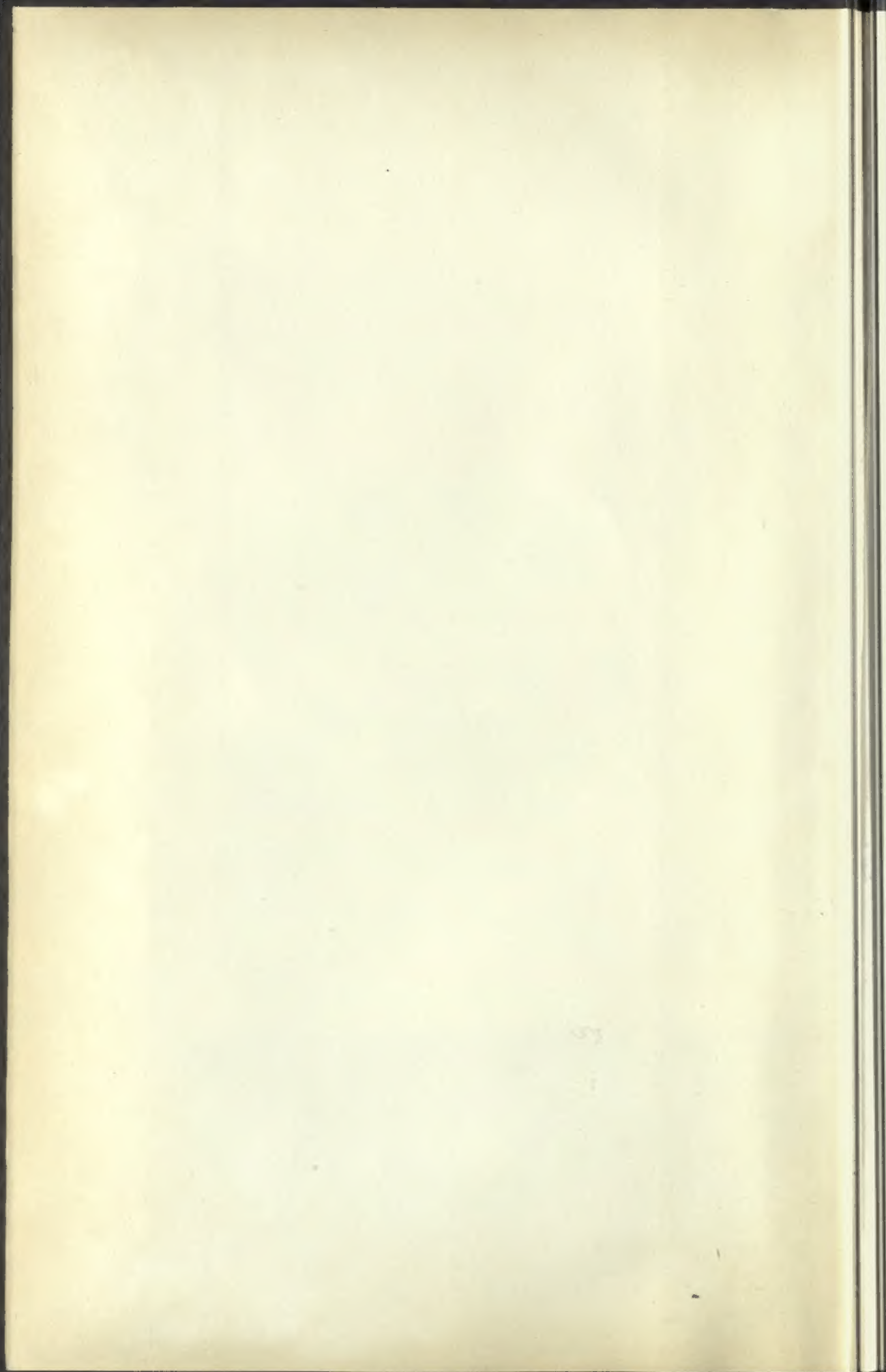
تم الكتاب والحمد لله وحده وصلاته وسلامه











DATE DUE

~~FILE~~
10 MAR 1957

SAFET LIB.
21 MAY 2014
Circulation Dept. 4

SAFET LIB.
21 JUN 2014
Circulation Dept. 5

SAFET LIB.
24 NOV 2004
Circulation Dept. 1

297.41:I134rA:c.1

ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد
رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الاخلاق

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01000998

297.41
I134rA

